الحوار
بين الله تعالى وأولي العزم من الرسل في القرآن الكريم دراسة عقدية

الدكتور

احمد عبد الرزاق خلف

أستاذ العقيدة المساعد(المشارك)

في قسم العقيدة والدعوة والفكر الإسلامي

كلية العلوم الإسلامية / جامعة الأنبار

The discussion

between Allah almighty and (all) determination among the messengers in Holy Quran doctrinally studying

Dr. Ahmed Abdulrazzaq Khalf

COLLEGE OF ISLAMIC SCINCE

UNIVERSITY OF ANBAR

ملخص البحث

يتلخص هذا البحث في الحوار المباشر بين الله تعالى وأولي العزم من الرسل عليهم السلام ، والمقصود من المباشر : هو الحوار الدائر في ذات الوقت سواء كان بواسطة الملَك ، أو بغير واسطة كما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام وتأتي أهمية هذا الحوار لكونه يتعلق بأحداث مباشرة ومستمرة قد مر بها الأنبياء والرسل في حياتهم .وتختلف هذه الحوارات بحسب المواقف التي يتعرض لها الأنبياء والرسل ، فمنها حوارات شخصية تتعلق بذوي الأنبياء كما حصل مع سيدنا نوح عليه السلام ، ومنها حوارات تتعلق بالإيمان والاطمئنان كما حصل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام ، ومنها حوارات تتعلق بالبعثة والرسالة والدعوة كما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام ، ومنها حوارات تتعلق بالمعجزات كما حصل مع سيدنا عيسى عليه السلام .

أما حوارات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فإنها تتعلق بالدعوة والعبادة ، ومنها فرض الصلاة ، ولكنها حصلت في الملكوت الأعلى عند الإله الأعظم ، وذلك للمكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة لسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم .وقد ركزت في هذه الحوارات على الجوانب العقدية ، لأنها مرتكز بعثة الأنبياء والرسل ، والغاية التي من أجلها بعث الله من اصطفى من عباده لهداية الخلق وإيصالهم إلى الحق ، وذكرت آراء العلماء واختلافهم في فهم هذه الجوانب وأدلتهم ، محاولاً قدر استطاعتي إظهار جوانب الحوار كاملة لما لها من أهمية في عقيدة المسلم . واسأل الله تعالى أن يوفقنا لكل خير .

The discussion between Allah almighty and (all) determination among the messengers in Holy Quran doctrinally studying .

Abstract :

This research summed - up in direct discussion between Allah almighty and Those (all) of determination among the messengers (peace be upon Them) and the meaning of direction the discussion focused on the time whether by the king or without that is what happened with The prophet Moses (peace be upon him) .The importance of this discussion coming with related to the direct and continous events experienced by prophets and messengers in their life. These discussions different according situations exposed from prophets and messengers including personal discussions related with the contentment and faith that is what happened with the prophet Ibrahim (peace be upon him) including discussions related with delegation the message and the invitation that's what happened (Isa) (peace be upon him) . The discussions of our prophet Muhammad (peace be upon him) are related with worship and the invitation including the imposition of Prayer but it's made in supreme kingdom at the greatest God , and so on the greatest position and high rank for prophet Muhammad (peace be upon him) . So I focused on the ideological sides because it is the pivot of prophets and messengers mission . The Purpose for which Allah sent the chosen of his people to guide them and deliver them to the truth. I mentioned the views of scientists and their differences in understanding these aspects and their evidences, trying as much as possible to show aspects of debate because of its importance in the doctrine of Muslim. I ask Allah to help us to do good.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد فقد بعث الله تعالى الرسل والأنبياء لهداية الناس ، وإخراجهم من الظلمات الى النور ، وأوحى إليهم بطرق عدة ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى:51

ويتم ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر ، وهذا هو المقصود من الاصطفاء والاختيار ، وهو كلام الله تعالى مع من يصطفيهم لحمل أمانة الرسالة والنبوة ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾الحج:75 ، لذا اخترت من بين كلام الله تعالى الذي كلم به الأنبياء والرسل ، الكلام المباشر معهم ، وأقصد بالمباشر هو الدائر بين الله تعالى والنبي في ذات الوقت سواء كان تكليم بغير واسطة كما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام ، أو بواسطة كما حصل مع الأنبياء الآخرين عليهم السلام ، والذي هو معنى الحوار ، لأن الحوار : هو دوران الكلام بين المتكلمين ، وقد اقتصرت في هذا الحوار على ما دار بين الله تعالى وأولي العزم من الرسل فقط باعتبارهم القدوة للأنبياء وفي الكلام معهم ما يغني للعبرة والاعتبار وقد ذكرت المسائل العقدية الواردة في هذه الحوارات وآراء العلماء في هذه المسائل ، لان كلام الله تعالى مع أنبياءه يدخل ضمن المعجزات التي أيد الله تعالى بها أنبياءه ، والمعجزات جزء من مسائل العقيدة ، لذا جعلتها دراسة عقدية.وقد قسمت البحث على خمسة مباحث ، ذكرت في كل مبحث الحوار الدائر بين الله تعالى وبين نبي من أنبياءه ، فكانت البداية مع سيدنا نوح عليه السلام ثم مع سيدنا إبراهيم ثم سيدنا موسى ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا محمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وذلك بحسب التسلسل الزمني لهم ، مقدماً ذلك بمقدمة، وخاتماً ذلك بخاتمة وأسأل الله تعالى أن يجعل علمنا وعملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه سميع مجيب .

التمهيد

تعريف الحوار لغةً واصطلاحاً :

أولاً: تعريف الحوار لغةً :

الحوار في اللغة من المحاورة والمُحَاوَرَةُ: مُرَاجعَة الكلامِ فِي المخاطبة، تَقول حاورْتُه فِي المنْطِق، وأَحَرْتُ لَهُ جَوَابا، وَمَا أَحَارَ بِكَلِمَة، وَالِاسْم من المحاورة الحَوِيرُ، تَقول: سمعتُ حَوِيرَهُما وحِوَارَهُما، قَالَ: والمَحْوَرَةُ من المُحَاوَرةِ كالمَشْوَرَة من المُشَاورة .(١)وحارَ يَحورُ حَوْراً، وحُؤُوراً: رجع. يقال: حار بعد ماكار. و " نعوذ بالله من الحَوْرِ بعد الكَوْرِ " أي من النقصان بعد الزيادة..... وأَصله مِنْ نَقْضِ الْعِمَامَةِ بَعْدَ لَفِّهَا، مأْخوذ مِنْ كَوْرِ الْعِمَامَةِ إِذا انْتَقَضَ لَيُّها ..... والحَوَرَ أيضاً: شِدَّةُ بياض العين في شدّة سوادِها. يقال: امرأةٌ حوراءُ بيِّنةُ الحَوَرِ. ويقال: احْوَرَّتْ عينهُ احورارا. واحور الشئ: ابيض. وقال أبو عمرو: الحور أن تسود العين كلها مثل أعين الظباء والبقر. قال: وليس في بنى آدم حور، وإنما قيل للنساء حور العيون لأنهن شبهن بالظباء والبقر. وتحوير الثياب: تبيضها. وقول العجاج: بأعيُنٍ مُحَوِّراتٍ حورِ * يعني الأعين النقيّات البياض، الشديدات سواد الحدَق. وقيل لأصحاب عيسى عليه السلام: الحَوارِيُّونَ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُحَوِّرُونَ الثِّيَابَ، أَيْ يُبَيِّضُونَهَا. وقال اليشكرى حور الخُبْزَةَ، إذا هيَّأها وأدارها ليضَعها في المَلَّة. والمِحْوَرُ: عود الخبّاز. والمِحْوَرُ: العود الذي تَدور عليه البَكْرة، وربَّما كان من حديد.(٢)وجاء في لسان العرب :" وكلَّمته فَمَا رَجَعَ إِلَيَّ حَوَاراً وحِواراً ومُحاوَرَةً وحَوِيراً ومَحُورَة، بِضَمِّ الْحَاءِ، بِوَزْنِ مَشُورَة أَي جَوَابًا. وأَحارَ عَلَيْهِ جَوَابَهُ: ردَّه. وأَحَرْتُ لَهُ جَوَابًا وَمَا أَحارَ بِكَلِمَةٍ، وَالِاسْمُ مِنَ المُحاوَرَةِ الحَوِيرُ، تَقُولُ: سَمِعْتُ حَوِيرَهما وحِوارَهما. والمُحاوَرَة: المُجَاوَبَةُ. والتَّحاوُرُ: التَّجَاوُبُ؛ وَتَقُولُ: كلَّمته فَمَا أَحار إِلَيَّ جَوَابًا وَمَا رَجَعَ إِلَيَّ حَوِيراً وَلَا حَوِيرَةً وَلَا مَحُورَةً ولا حِوَاراً أَي مَا ردَّ جَوَابًا ". (٣) ، وورد في القاموس المحيط : " والمُحاوَرَةُ والمَحْوَرَةُ والمَحُورَةُ: الجوابُ،...وتَحاوَرُوا: تَراجَعُوا الكلامَ بينهمْ" .(٤) ، وخلاصة ذلك كما عند ابن فارس : (حور) الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخَر الرُّجوع، والثالث أن يدور الشيء دَوْراً. وما يهمنا هنا هو رجوع الكلام ودورانه بين المتكلمين .

ثانياً: تعريف الحوار اصطلاحاً :

المحاورة والحوار الموارد في الكلام ومنه التحاور، والمُحاوَرَةُ والحِوَار: المرادّة في الكلام، ومنه التَّحَاوُر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١ ﴾ المجادلة: ١

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ الكهف: ٣٧. (٥)

أولو العزم من الرسل :

أولو العزم من الرسل : هم سيدنا نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ،على أرجح الأقوال،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴿٣٥﴾ ﴾الأحقاف:٣٥يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، مثبته على المضيّ لما قلَّده من عبْء الرسالة، وثقل أحمال النبوّة ، وأمره بالائتساء في العزم على النفوذ لذلك بأولي العزم من قبله من رسله الذين صبروا على عظيم ما لَقُوا فيه من قومهم من المكاره، (فَاصْبِرْ) يا محمد على ما أصابك (كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ) على القيام بأمر الله، وقيل: إن ولي العزم منهم، كانوا الذين امتُحِنوا في ذات الله في الدنيا بِالمحَن، فلم تزدهم المحن إلا جدّا في أمر الله، كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام .(٦)

المبحث الأول

حوار الله تعالى مع نوح عليه السلام

ذُكر في القرآن الكريم حوار واحد فقط بين الله تعالى ونوح عليه السلام في سورة هود ، بعد أن بيّن الله تعالى لنوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن ، وأمره ببناء السفينة لتكون لهم سبباً في النجاة ، وبعد نزول الماء من السماء ، وتفجيره من الأرض ، وتلاطمت أمواج المياه ، أمر الله تعالى نوح عليه السلام أن يركب في السفينة هو ومن معه من المؤمنين .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ هود:41وسارت تلك السفينة في أمواج هائلة ، فلما رأى نوح ذلك الأمر ، نادى ابنه الذي لم يركب معهم في السفينة ، واعتزل عن ركب المؤمنين ، ظناً منه أنه سينجو بصعوده الى الجبل فبيّن له نوح عليه السلام أنه لا ينجو أحد من ذلك الأمر ، لأنه أمر الله تعالى ، إلا من رحمه الله تعالى وعصمه بعصمة الإيمان .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهِىَ تَجۡرِى بِهِمۡ فِى مَوۡجٍ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعۡزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِى مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ هود :42- ٤٣ثم ينتهي ذلك المشهد العظيم والموقف الشديد بقوله تعالى وأمره :﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِى وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِىَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود: ٤٤ (٧)وفي أثناء هذه الأحداث والمواقف يطلب نوح عليه السلام من الله تعالى ان ينقذ ابنه ، وأن ينجز وعده الذي وعده إياه بقوله :﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ هود: ٤٠ ، ولا يعلم نوح عليه السلام أن ابنه ممن سبق عليهم القول . فراحَ ينادي: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِى مِنۡ أَهۡلِى وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ هود: ٤٥ ٤٥ فجاء الرد من الله تعالى :﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ هود: ٤٦ فقوله تعالى : " انه ليس من أهلك " ، اي: ليس من أهل دينك وولايتك ، أو ليس من أهلك الذين وعدتك بإنجائهم ، " وجاء في تفسير الطبري : انه ليس ابن نوح وإنما هو ابن امرأته . والسبب في عدم إنجاء ذلك الولد انه عمل غير صالح أي : سؤالك أيّاي أن أنجيه ، أو ان ابنك عمل عملاً غير صالح . (٨) فقوله تعالى :{ إِنَّهُ عَمَلٌ } في الهاء ثلاثة أوجه أحدهما : هي ضمير الأبن ؛ أي إنه ذو عملٍ غير صالح . والثاني: انها ضمير النداء والسؤال في ابنه ؛ اي ان سؤالك فيه عمل غير صالح . والثالث : انها ضمير الركوب ؛ اي ركوبه معكم عمل غير صالح ، وقد دل عليه"اركب معنا " (٩) ثم يأتي البيان من الله تعالى ان ذلك في علم الله سبحانه وتعالى ، وانه لا يعلم

الغيب إلا الله تعالى ، فقال عز وجل : { فلا تسألني ما ليس لك به علم } أي إذا وعدتك فاعلم يقيناً انه لا خُلف في الوعد فإذا رأيت ولدك لم يُحمل فكان الواجب عليك أن تقف وتعلم ان ذلك هو من عند الله . ويمكن ان يكون المعنى ، لا تطلب مني أمراً لا تعلم المصلحة فيه علم يقين ، ولكن نوح عليه السلام حملته شفقة الأبوة وسجية البشر على التعرض لنفحات الرحمة والتذكير ، وعلى هذا القدر وقع عتابه ، ولذلك جاء بتلطف وترفع في قوله تعالى : {إني أعظك أن تكون من الجاهلين } أي: إني أنصحك أن لا تدخل ضمن الجاهلين الذين يسألون ويتدخلون في ما لا علم لهم به ؛ فجاء رد نوح عليه السلام سريعاً بالإنابة والرجوع والتسليم ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٤٧ ﴾ هود : ٤٧ فهذه الآية فيها إنابة نوح وتسليمه لأمر الله تعالى واستغفاره بالسؤال الذي وقع النهي عليه والاستعاذة والاستغفار منه هو سؤال العزم الذي معه محاجة وطُلبة مُلحة ففي ما قد حجب وجه الحكمة فيه وأما السؤال في الأمر على وجه التعلم والاسترشاد فغير داخل في هذا . (١٠) ثم يتجه الحوار نحو الخاتمة التي تتضمن انتهاء الوقت العصيب والأحداث المتتالية بقوله تعالى :﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨ ﴾ هود: ٤٨ قيل يا نوح اهبط ، اي انزل من السفينة، بسلام منا ، اي بأمنٍ وسلامة منا ، وبركات عليك ، البركة : هي ثبوت الخير ، وقيل : البركة هاهنا هي ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيامة ، "وعلى أمم ممن معك "، اي : على ذرية أمم ممن كان معك في السفينة ، يعني ، وعلى قرون تجيء بعدك من ذرية من معك في السفينة ، يعني : من ولدك وهم المؤمنون ، وأمم سنمتعهم ، هذا ابتداء ، اي أمم سنمتعهم في الدنيا ، ثم يمسهم منا عذاب أليم ، وهم الكافرون ، وأهل الشقاوة . (١١) ويُستخلص من هذا الحوار ، ومن هذه الآيات الكريمة أمران .

الأول : ان الأنبياء لا يعلمون الغيب بدليل قوله تعالى ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ ٤٦ ﴾ هود :٤٦وهذا له دليل في موضع آخر من القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ الأعراف:١٨٨

والثاني : ان الهداية بيد الله تعالى ، يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، إذ لو كان الأمر بيد نوح عليه السلام لهدى ابنه ، قال تعالى لسيد الأنبياء ﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦ ﴾ القصص: ٥٦

المبحث الثاني
حوار الله تعالى مع إبراهيم عليه السلام

حوار الله تعالى المباشر مع سيدنا إبراهيم عليه السلام كان في سورة البقرة .

١- الحوار الأول : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ١٢٤ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٢٦ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ

وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ ﴾ ال بقرة:124-131وإذ ابتلى إبراهيمَ ربُه ، الابتلاء مجازه تكليف ما يشق ليثاب عليه ، .... ومن العدل ان يعاملنا الله في أوامره معاملة المبتلى الممتحن لا العالم الخبير ليقع جزاؤه على عملنا لا على علمه بنا (١٢) "بكلماتٍ" : هي السنن العشر (١٣) ، وقيل مناسك الحج (١٤) . ثمقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ال بقرة: 124 ، فهنا يذكر الله تعالى فضلة وكرمه على إبراهيم عليه السلام وانه جاعله إماماً للناس . فأراد إبراهيم عليه السلام أن يتم كرمه عليه ويجعل الإمامة في ذريته أيضاً ، فأجاب الله تعالى إن الإمامة والرياسة في الدين لاتصل الى الظالمين من أولاد إبراهيم عليه السلام (١٥) وسيدنا إبراهيم طلب ذلك بمقتضى الشفقة عليهم ، فطلب لهم ما أكرم به ،فاخبره ان ذلك ليس باستحقاق نسب أو باستحقاق سبب ، وإنما هي أقسام مضت بها أحكام فقال له : " لا ينال عهدي الظالمين " (١٦) .ثم يذكر الله تعالى أمنه ومثوبته التي جعلها في بيته الحرام ، ويأمر باتخاذ مقام إبراهيم مصلى ، وذلك تكريما لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ۖ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ال بقرة:125، يقول ابن كثير : " إن الله يذكر شرف البيت وما جعله موصوفاً به شرعاً وقدراً من كونه مثابة للناس ، اي : جعله محلاً تشتاق إليه الأرواح وتحن إليه ، ولا تقضي منه وطراً ، ولو ترددت إليه كل عام ، استجابة من الله تعالى لدعاء خليله إبراهيم عليه السلام في قوله :﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ۙ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ ﴾ إبراهيم: ٣٧ - 40ويصفه تعالى بأنه جعله أمناً ، من دخله أمِنَ ، ولو كان قد فعل ما فعل ، ثم دخله كان آمناً " (١٧)وقوله تعالى : " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " قال سفيان الثوري : " الحجر مقام إبراهيم نبي الله ، قد جعله الله رحمةً ، فكان يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة ..... قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قلت : يا رسول الله هذا مقام خليل ربنا ؟ قال نعم ، قال: أفلا نتخذه مصلى ؟ فنزلت : " واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى " (١٨) .ثم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ ال بقرة:125 ، وعهدنا : عبارة عن الأمر والوصية ، طهرا بيتي : بنيانه بنية خالصة ، كقوله :" أسس على التقوى " وقيل : المعنى : طهارة عن عبادة الأصنام . للطائفين ، هم الذين يطوفون بالكعبة ، وقيل : الغرباء القادمون على مكة ، والعاكفون ، هم المعتكفون في المسجد ، وقيل : المصلون ، وقيل : المجاورون من الغرباء ، وقيل : أهل مكة " (١٩).ثم يحاور إبراهيم عليه السلام ربه:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ ال بقرة:126، تبدأ هذه الآية وهذا الحوار بطلب إبراهيم عليه السلام من ربه ان يجعل مكة بلداً وحرماً آمناً ، وأن يرزق أهله من الثمرات والنعم بأنواعها ؛ فحصل ذلك بأن يجتمع لأهل هذا البلد الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ، وهي تجبى إليه من الأقطار الشاسعة كما قال تعالى :" أولم نمكن لهم حرماً آمناً يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا " القصص ٥٧ ، وزيادة من إبراهيم عليه السلام في الرجاء وطلباً في

استجابة الدعاء في جعل هذا البلد آمناً ومرزوقاً إكراماً للمؤمنين منهم ، قال : " من آمن منهم بالله واليوم الآخر " خصهم بالدعاء إظهاراً لشرف الإيمان وإبانة لخطره واهتماماً بشأن أهله ومراعاة لحسن الأدب ، وفيه ترغيب لقومه في الإيمان وزجر عن الكفر (٢٠) .وقيل : إن سبب هذا التخصيص ان إبراهيم سأل ربه أن يجعل النبوة والإمامة في ذريته ؛ فأجابه الله بقوله : " لا ينال عهدي الظالمين " لذا خص هنا بدعائه المؤمنين دون الكافرين ، ثم أعلمه الله ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله : " قال ومن كفر فأمتعه قليلاً " أي سأرزق الكافر أيضاً في الدنيا مدة حياته ثم مصيره الى عذاب النار(٢١) .ثم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ ال بقرة: 127 ، " القواعد" جمع قاعدة ، وهي الأساس ، وكأنه مأخوذ من القعود بمعنى الثبات ..... واذكر وقت رفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ، وبناءهما له ، بعد أن درس بالطوفان ، وكان بناء آدم عليه السلام لما أهبط الى الأرض بإعلام الملائكة " (٢٢).وورد في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه من حديث طويل جاء فيه : " ثم قال يا إسماعيل ، ان الله أمرني بإمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك ، قال : وتعينني ؟ قال : وأُعينُك ، قال : فإن الله أمرني أن أبني ها هنا بيتاً ، وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها ، قال : فعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل إسماعيل يأتي بحجارة وإبراهيم يبني ، حتى إذا ارتفع البناء ، جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه ، وهو يبني وإسماعيل يناوله الحجارة ، وهما يقولان :" ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم " ، قال : فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ ال بقرة:127، (٢٣)وذكر ابن حجر في الشرح حديثاً عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً ، قال : " بعث الله جبريل إلى آدم عليه السلام فأمره ببناء البيت فبناه آدم ، ثم أمره بالطواف به ، وقيل له أنت أول الناس ، وهذا أول بيت وضع للناس " . (٢٤)وبعد الدعاء لقبول العمل يأتي الدعاء لمعرفة العمل والاستمرار به عن طريق الذرية ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ ال بقرة: ١٢٨ ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك أوجهنا ، من قوله " أسلم وجهه لله أو مستسلمين ، يقال : أسلم له واستسلم ، اذا خضع وأذعن ، والمعنى : زدنا إخلاصاً أو اذعاناً لك ، واجعل من ذريتنا أمة مسلمة لك، ومن للتبعيض أو للتبيين ، كقوله :" وعدَ الله الذين آمنوا منكم " النور ٥٥ ، وإنما خصصنا الذرية بالدعاء ، لأنهم أحق بالشفقة ، لأنهم اذا صلحوا صلح بهم الأتباع ، " وأرنا مناسكنا " اي : عرفنا متعبداتنا ، جمع منسك بفتح السين وكسرها ، وهو التعبد ، وشرعة العبادة ، يقع على المصدر والزمان والمكان ، من النسك وهو العبادة والطاعة ، وكل ما يقرب به الى الله تعالى ..... وجعل ذلك عامّاً لكل ما شرعه الله تعالى لإبراهيم عليه السلام . اي علمنا كيف نعبدك وأين نعبدك ، وبماذا نتقرب إليك حتى نخدمك كما يخدم العبد مولاه . " وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم " هذا الدعاء استتابة لما فرط من التقصير ، فإن العبد وإن اجتهد في طاعة ربه فإنه لا ينفك عن التقصير من بعض الوجوه ، إما على سبيل السهو والنسيان ، أو على سبيل ترك الأولى ، فالدعاء منهما عليهما السلام لأجل ذلك . (٢٥)واستكمالاً للدعاء وإتماماً لنعمة التعبد طلبا من الله تعالى أن يبعث الى ذريتهم رسولاً منهم يتلو عليهم الآيات ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ ال بقرة:١٢٩وأرى أن هذا الدعاء ينطبق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من وجوه عدة . **الوجه الأول** : ان الداعي هو إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من أولاد إسماعيل عليه السلام ولم يكن أحداً من آباءه وأجداده نبياً عدا إسماعيل عليه السلام بن إبراهيم عليه السلام . وهذا بخلاف ذرية اسحق ثم يعقوب عليهما السلام وأبناءهم من الأنبياء .

الوجه الثاني : ان هذا الدعاء صدر من إبراهيم وإسماعيل وهما يبنيان البيت الحرام ، وهو يقع في مكان يسكنه إسماعيل وأهله وأقرباء أهله ؛ فالدعاء يخصهم ويخص ذريتهم .**الوجه الثالث** : قولهما رسولاً منهم ، وهذا يخص رسولاً واحداً فقط ، وليس مجموعة كما حصل لبني اسحق ويعقوب وذرياتهم إذ أُرسل إليهم مجموعة من الأنبياء والرسل . **الوجه الرابع** : ان هذا الرسول يعلمهم الكتاب والحكمة ، وهذه تخص نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ الجمعة:2 . ثم يأتي قوله تعالى:﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝١٣٠ ﴾ البقرة:130 ، والمعنى : ما يرغب عن ملة إبراهيم بعد ما عرف من فضله إلا من سفه نفسه ، اي جهلها وامتهنها ، ورضي لها بالدون وباعها بصفقة المغبون ، كما انه لا أرشد ولا أكمل ممن رغب في ملة إبراهيم ، ثم اخبر عن حالته في الدنيا والآخرة فقال : " ولقد اصطفيناه في الدنيا " اي : اخترناه ووفقناه للأعمال الصالحة . " وإنه في الآخرة لمن الصالحين " الذين لهم أعلى الدرجات . " إذ قال له ربه أسلم قال " إمتثالاً لربه " أسلمت لرب العالمين " البقرة ١٣١ ، إخلاصاً وتوحيداً (٢٦)

ب- الحوار الثاني بين الله تعالى وإبراهيم عليه السلام، والذي ورد في سورة البقرة أيضاً. قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦٠ ﴾ البقرة:٢٦٠وفي هذا الحوار يطلب إبراهيم –عليه السلام– من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، وقيل سببه أن إبراهيم –عليه السلام– رأى جيفة استهلكت في الرياح، فأحبّ معاينة إحيائها ليقوى اليقين بالمشاهدة ، فقال الله تعالى له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾، وتقديره، أي: قد آمنت فلِمَ تسأل هذا؟ فقال: ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ بمشاهدة ما أعلمه، أو اعلم أني خليلك مستجاب الدعوة فقال الله –تعالى– له: ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ﴾، اختلف المفسرون في الأربعة ما هي فقيل: الديك والطاووس والغراب والحمام، وإن كان لا طائل تحت تعينها، إذ لو كان في ذلك مهم لنص عليه القرآن ، ثم قال –تعالى–: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي: قطّعهن﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾، أي: ضع على كل جبل من كل طير جزءاً،﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ أي: ادع الطيور يأتينك مسرعات فكل جزء يطير إلى الأجزاء الأخرى لنفس الطائر ، حتى تجتمع الأجزاء ويعود الطائر حياً كاملاً ،﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فهو بعزته غالب على أمره وبحكمته قد جعل أمر الإعادة موافقاً لحكمة التكوين(٢٧). وبعد بيان الآية بشكل عام أود القول: بأن هذا الحوار الدائر بين الله –تعالى– وإبراهيم –عليه السلام– يرتكز على مسألة أساسية هي مسألة الإيمان على العموم وإيمان إبراهيم –عليه السلام– على الخصوص.لماذا طلب إبراهيم عليه السلام رؤية كيفية إحياء الموتى؟! وبماذا أجابه الله تعالى؟!يقول الزمخشري في الكشاف: " فإن قلت: كيف قال له ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ﴾ وقد علم أنه أثبت الناس إيماناً ؟ قلت: ليجيب بما أجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين. و﴿بَلَى﴾ يجاب لما بعد النفي، معناه بلى آمنت ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ ليزيد سكوناً وطمأنينة بمضامةِ علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين، ولأن علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري، فأراد بطمأنينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك. فإن قلت: بم تعلقت اللام في: ﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾ ؟ قلت: بمحذوف تقديره: ولكن سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب"(٢٨).ويكاد يتفق الرازي مع الزمخشري في ذلك إذ يقول في تفسير مفاتح الغيب: " وعلى قول المتكلمين: العلم الاستدلالي مما يتطرق إليه الشبهات والشكوك فطلب علما ضرورياً يستقر القلب معه استقراراً لا يتخالجه شيء من الشكوك والشبهات، أمّا قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، فاعلم أن اللام في (ليطمئن) متعلق بمحذوف، والتقدير: سألت ذلك إرادة طمأنينة القلب، قالوا: والمراد منه أن يزول عنه

الخواطر التي تعرض للمستدل وإلا فاليقين حاصل على كلتا الحالتين؛ وهاهنا بحث عقلي وهو أن التفسير مفرع على أن العلوم يجوز أن يكون بعضها أقوى من بعض، وفيه سؤال صعب، وهو أن الإنسان حال حصول العلم له إما أن يكون مجوزاً لنقيضه، وإما أن لا يكون، فإن جوز نقيضه بوجه من الوجوه، فذاك ظن قوي لا اعتقاد جازم، وإن لم يجوز نقيضه بوجه من الوجوه امتنع وقوع التفاوت في العلوم، واعلم أن هذا الإشكال إنما يتوجه إذا قلنا المطلوب هو حصول الطمأنينة في اعتقاد قدرة الله تعالى على الإحياء، أما لو قلنا: المقصود شيء آخر فالسؤال زائل"[٢٩].وأما القاضي عضد الدين الإيجي صاحب كتاب المواقف وشارحه الجرجاني فلهم رأي آخر. فبعد نقل رأي بعض المتكلمين، والذي يفيد بأن تعدد الأدلة وإن كان من جنس واحد تفيد زيادة قوة في العلم بالمدلول؛ فكيف إذا كانت من جنسين، وإنما سأل إبراهيم –عليه السلام– هذا السؤال لأنه طلب الطمأنينة فيما يعتقده ويعلمه بانضمام المشاهدة إلى الدليل. والجواب على رأي الإيجي والجرجاني: إن العلم لا يقبل التفاوت فإنه صفة توجب تمييزاً لا يحتمل متعلقه النقيض بوجه من الوجوه، ولذلك يؤول قول الخليل تارة بما يضعف: وهو أنّه مخاطبة منه لجبريل عند نزوله إليه بالوحي ليعلم أنه من عند الله وضعفه واضح لأنه خاطب الرب قال: ﴿رَبِّ أَرِنِى﴾ وجبرائيل ليس برب، وأيضاً إحياء الموتى ليس مقدوراً لجبرائيل–عليه السلام– فكيف يطلب منه ذلك؟! وتارة بما يقوى وهو ما روي من أنّه أوحى الله –تعالى– إليه اني اتخذت إنساناً خليلاً وعلامته اني أحيي الموتى بدعائه فظن إبراهيم أنه ذلك الإنسان فطلب الإحياء ليطمئن به قلبه[٣٠].ويمكن خلاصة ذلك بما قاله ابن المنيّر في حاشيته على الكشاف: " أما سؤال الخليل –عليه السلام– بقوله له ﴿كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾ فليس عن شك –والعياذ باللّه–في قدرة اللّه عن الإحياء، ولكنه سؤال عن كيفية الإحياء، ولا يشترط في الإيمان الإحاطة بصورتها، فإنما هي طلب علم ما لا يتوقف الإيمان على علمه، ويدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف، وموضوعها السؤال عن الحال، ونظير هذا السؤال أن يقول القائل: كيف يحكم زيد في الناس؟ فهو لا يشك أنه يحكم فيهم، ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا ثبوته، ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق إلى إبراهيم شكاً من هذه الآية. وقد قطع النبي –عليه الصلاة والسلام– دابر هذا الوهم"[٣١] عندما سمع طائفة تقول: شكَّ إبراهيم ولم يشكّ نبينا. فقال النبي ﷺ: (نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ)[٣٢]. " ومعناه إذا لم نشك نحن فإبراهيم أولى أن لا يشك، أي: لو كان الشك متطرقاً إلى الأنبياء لكنت أنا أحق به منهم، وقد علمتم أني لم أشك، فاعلموا أنّه لم يشك" [٣٣].واستكمالاً لهذا الموضوع، وهو موضوع الإيمان أود الإشارة إلى مسألة تتعلق بالإيمان بشكل عام، وهي، هل الإيمان يزيد وينقص أم لا؟" ذهب الأشاعرة والمعتزلة والمحكي عن الشافعي –رحمه الله– وكثير من العلماء أن الإيمان يزيد وينقص، وعند أبي حنيفة –رحمه الله– وأصحابه وكثير من العلماء وهو اختيار إمام الحرمين أنه لا يزيد ولا ينقص لأنه اسم للتصديق البالغ حد الجزم والإذعان ولا يتصور فيه الزيادة والنقصان والمصدق إذا ضم الطاعات إليه أو ارتكب المعاصي فتصديقه بحاله لم يتغير أصلاً وإنما يتفاوت إذا كان اسماً للطاعات المتفاوتة قلة وكثرة، ولهذا قال الإمام الرازي وغيره أن هذا الخلاف فرع تفسير الإيمان، فإن قلنا هو التصديق فلا يتفاوت وإن قلنا هو الأعمال فمتفاوت.وقال إمام الحرمين: إذا حملنا الإيمان على التصديق فلا يفضل تصديق تصديقاً كما لا يفضل علم علماً، ومن حمله على الطاعة سراً وعلناً..فانه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية... إلا أن الزيادة والنقصان على هذا تكون في كمال الإيمان لا في أصله. ولهذا قال الإمام الرازي: وجه التوفيق أن ما يدل على أن الإيمان لا يتفاوت مصروف إلى أصله، وما يدل على أنه يتفاوت مصروف إلى الكامل منه، ولقائل أن يقول: لا نسلم أن التصديق لا يتفاوت بل يتفاوت قوة وضعفاً كما في التصديق بطلوع الشمس والتصديق بحدوث العالم لأنه إما نفس الاعتقاد القابل للتفاوت أو مبني عليه قلة وكثرة كما في التصديق الإجمالي والتفصيلي"[٣٤].وفي هذا يقول شارح العقيدة الطحاوية: " وأما زيادة الإيمان من جهة الإجمال والتفصيل، فمعلوم أنه لا يجب في أول الأمر ما وجب بعد نزول القرآن كله، ولا يجب على كل أحد من الإيمان المفصل مما أخبر به الرسول ما يجب على من بلغه خبره، كما في حق النجاشي وأمثاله، وأما الزيادة بالعمل والتصديق، المستلزم لعمل القلب والجوارح فهو أكمل من التصديق الذي لا يستلزمه، فالعلم الذي يعمل به صاحبه أكمل من

العلم الذي لا يعمل به، فإذا لم يحصل اللازم دل على ضعف الملزوم"[٣٥]واحتج القائلون بالزيادة والنقصان بالعقل والنقل. أما العقل فلأنه لو لم يتفاوت لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمك بالفسق مساوياً لتصديق الأنبياء والملائكة واللازم باطل قطعاً، وأما النقل فلكثرة النصوص الواردة في هذا المعنى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ الأنفال:٢

المبحث الثالث

حوار الله تعالى مع موسى عليه السلام

وردت حوارات عدة مع سيدنا موسى عليه السلام ، ولا عجب فهو كليم الله تعالى لذا سأذكر هذه الحوارات مقسمة على السور التي وردت فيها

حوار سورة الاعراف

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤٢ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٤٣ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٤٤ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝١٤٥ ﴾ الأعراف:١٤٢ - ١٤٥

يقول تعالى ممتناً على بني إسرائيل بما حصل لهم من الهداية ، بتكليمه موسى عليه السلام ، وإعطائه التوراة وفيها أحكامهم وتفاصيل شرعهم ، فذكر تعالى انه واعد موسى ثلاثين ليلة ، فصامها موسى عليه السلام ، فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة ، لأنه كان صائماً فتغيرت رائحة فمه ، فاستحيى من الله تعالى ، وقيل : أوحى الله تعالى إليه : أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك . فأمره الله تعالى أن يكمل بعشر لتكون أربعين ، وقد اختلف المفسرون في هذه العشر ماهي ؟ فالأكثرون على ان الثلاثين هي ذو القعدة ، والعشر ، عشر ذي الحجة . قاله مجاهد وابن عباس ، فعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر ، وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام ، وفيه أكمل الله الدين لمحمد صلى الله عليه وسلم ، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ۝٣ ﴾المائدة:3 ، فلما تم الميقات عزم موسى على الذهاب الى الطور . كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۝٨٠ ﴾ طه 80 ، فعندئذ استخلف موسى على بني إسرائيل أخاه هارون ، وأوصاه بالإصلاح وعدم الإفساد، وهذا تنبيه وتذكير ، وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله ، له وجاهة وجلالة ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء (٣٦)ثم قال تعالى : " ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني أنظر إليك...الآية يتبين من خلال هذه الآية الكريمة ان موسى عليه السلام قد طلب رؤية الله تعالى ، فهل يمكن للناس ومن بينهم الأنبياء أن يروا الله تعالى في الدنيا أو في الآخرة ؟ . فأما رؤية الله تعالى في الدنيا ، فقد اتفقت الأمة على أن الله تعالى لا يراه أحد في الدنيا بعينه .(٣٧) " وذكر ابن إسحاق ان ابن عمر رضي الله عنهما أرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله : هل رأى محمد ربه ، فقال : نعم ، والأشهر عنه –اي ابن عباس – ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعينه ، روي ذلك عنه من طرق ، وقال ان الله تعالى اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمد بالرؤية، وحجته قوله تعالى﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا

رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ﴾ النجم: ١١ - ١٤ ، أما عن قوله تعالى { لا تدركه الأبصار} أي لا تحيط به ".(٣٨)وقد ورد في السنة الشريفة أحاديث تتعلق بذلك ، منها ما رواه الإمام مسلم في صحيحة "عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال : " نور أنّى أراه " وفي رواة أخرى " رأيت نوراً " ومعناه حجابه نور فكيف أراه ، والضمير في أراه عائد على الله سبحانه وتعالى ، ومعناه ان النور منعني من الرؤية ، كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت بين الرائي وبينه ، وقوله صلى الله عليه وسلم " رأيت نوراً " معناه رأيت النور فحسب ولم أرَ غيره ..... وروي " نوراني أراه " ومعناه : خالق النور المانع من رؤيته ". (٣٩)والحق كما يقول القاضي عياض رحمه الله :" إن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلاً وليس في العقل ما يحيلها ، والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه ، بل لم يسأل إلا جائزاً غير مستحيل ، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب ..... قال مالك بن أنس رحمه الله : " لم يُرَ في الدنيا لأنه باقٍ ولا يُرى الباقي بالفاني ، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رُئيَ الباقي بالباقي ".(٤٠)وأما رؤية الله تعالى في الدار الآخرة فقد افترقوا فيها على قولين . القول الأول : لا تجوز رؤية الله تعالى بالأبصار ، وهو قول المعتزلة والإمامية ومن وافقهم .

يقول الزمخشري _ وهو من المعتزلة _ في تفسير هذه الآية : { قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني } ، " فكيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إليّ ، لقوله أنظر إليك ؟ قلت : لما قال أرني بمعنى اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي الإدراك عَلم أن الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه ، فقيل : لن تراني ، ولم يقل لن تنظر اليّ ، والنظر إنما يصح فيما كان في جهة . وما ليس بجسم ولا عرض؛ فمحال أن يكون في جهة ..... فإن قلت : ما معنى لن ؟ قلت : تأكيد النفي الذي تعطيه "لا" وذلك ان "لا" تنفي المستقبل ، تقول : لا أفعل غداً ، فإذا أكدت نفيها قلت : لن أفعل غداً . كقوله تعالى : " لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له " الحج ٧٣ فقوله : "لا تدركه الأبصار" نفي للرؤية فيما يستقبل . و"لن تراني " تأكيد وبيان ، لأن المنفي منافٍ لصفاته . فإن قلت : كيف اتصل الاستدراك في قوله " ولكن انظر الى الجبل " بما قبله ؟ قلت : اتصل به على معنى ان النظر اليّ محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر . وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك كيف افعل به وكيف اجعله دكاً بسبب طلبك الرؤية ، لتستعظم ما أقدمت عليه بما أُريك من عظم أثره . كأنه –عز وعلى– حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد إليه في قوله ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾ مريم: ٩٠ - 91 . (٤١)فالزمخشري يستدل بالمنقول ، وهو قوله تعالى :" لن تراني " على ان " لن " تفيد التأبيد . وبالمعقول، وهو ان الرؤية لا تجوز إلا للأجسام والتي تكون في جهة معينة ، وهذا منفي عن الله تعالى ويقول محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية : " وكذلك يلحق بالكافر من قال انه – اي الله تعالى – يتراءى لخلقه يوم القيامة ، وان نفى عنه التشبيه بالجسم ؛ فان أمثال هؤلاء المدعين جمدوا على ظواهر الألفاظ في القرآن الكريم أو الحديث ، وأنكروا عقولهم وتركوها وراء ظهورهم ، فلم يستطيعوا ان يتصرفوا بالظواهر حسبما يقتضيه النظر والدليل وقواعد الاستعارة والمجاز ". (٤٢)وكذلك يقول الشيخ محمد جميل حمّود في كتابه الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية : " اجمع الإمامية أعزهم الباري على امتناع رؤيته تعالى بالبصر في الدارين ، وانه من المحالات العقلية .....لأن إثبات الرؤية هو نفسه إثبات للتجسيم وكلاهما من آثار الإمكان والجسمية المنزه عنها الباري عز وجل " . (٤٣)القول الثاني : تجوز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة وهو قول الأشاعرة والماتريدية وجمهور المسلمين . (٤٤)ودليلهم من المنقول، قوله تعالى:﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾ ﴾القيامة 22-23وناضرة : اي جميلة ، وناظرة : من النظر ، أي الرؤية . ذلك لأن النظر : يفيد الرؤية والمعاينة بالأبصار اذا تعدى بإلى ، كما في هذه الآية قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ ﴿٩٩﴾ ﴾ الأنعام: ٩٩ ، اما قوله

تعالى : لن تراني " فإن "لن" هنا لا تفيد التأبيد ، والدليل على ذلك : ان الله تعالى اخبر عن اليهود بأنهم لن يتمنوا الموت أبداً بقوله سبحانه :﴿ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ البقرة: ٩٥ ، مع انهم يتمنون الموت في الآخرة ليتخلصوا من العذاب ، وهذا ما ذكره القرآن عنهم ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ الزخرف:77 ، فلو كانت " لن" للتأبيد الشامل للدنيا والآخرة كما يزعم المعتزلة لما جاز أن يتمنى اليهود الموت في الآخرة ، وإذا أُريد بها التأبيد فهو على تأبيد النفي في الدنيا لا في الآخرة ، ثم انه تعالى قال : " لن تراني " ولم يقل إني لا أُرى ، أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمرئي ، والفرق بين الجوابين ظاهر ، وهذا يدل على انه سبحانه مرئي ، ولكن موسى عليه السلام لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار – أي الدنيا – لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى ، يوضحه قوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِيۖ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف:١٤٣فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلّي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف . (٤٥) واما قوله تعالى :﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٠٣ ، فوجه الاستدلال بها : ان الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح ، ومعلوم ان المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية ، ويكون بالنفي اذا تضمن أمراً وجودياً كمدحه تعالى بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ، وبنفي الموت الذي يتضمن كمال الحياة ، وبنفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ..... فالآية تدل على كمال عظمته ، وانه أكبر من كل شيء ، وانه يُرى ، ولكن تعاليه عن التناهي والإتصاف بالحدود والجوانب لا يُدرك بالأبصار، ولا يُحاط به ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ طه: ١١٠ . (٤٦) ومن الأحاديث الشريفة الدالة على رؤيته تعالى في الدار الآخرة ، ما روي " عن ابي هريرة رضي الله عنه ، أن الناس قالوا : يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل تضارُّن في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يا رسول الله ، قال : فهل تضارُّون في الشمس ليس دونها سحاب ، قالوا : لا يارسول الله ، قال : فإنكم ترونه كذلك " (٤٧) والدليل من المعقول :

أ- ان الله موجود، وكل موجود يصح أن يُرى، فالباري عز وجل يصح أن يُرى .(٤٨)

ب-كما جاز ان يُعلم الباري عز وجل من غير كيفية وصورة جاز ان يُرى من غير كيفية وصورة ، وردوا على من قال : بأنه تعالى لو كان مرئياً لكان مقابلاً للرائي بالضرورة فيكون في جهة وحيز . بأن لزوم الجهة والحيز ممنوع لأن الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرئي ولا كونه في جهة وحيز ولا غير ذلك . (٤٩)

واستكمالاً لهذا الحوار ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِي ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ الأعراف:١٤٤ - ١٤٥ قال القرطبي : " الإصطفاء : الإجتباء ، أي فضلتك ، قال : على الناس ، ولم يقل على الخلق ، لأن من هذا الإصطفاء أنه كلّمه ، وقد كلم الملائكة ، وأرسله ، وأرسل غيره ، فالمراد " على الناس " المرسل إليهم ، " برسالاتي" الرسالة مصدر ، فيجوز إفرادها ومن جمعَ على انه أُرسل بضروب من الرسالة فاختلف أنواعها ، فجمع المصدر لإختلاف أنواعه ".(٥٠) ، " فخذ ما آتيتك " اي :من الكلام والوحي والمناجاة " وكن من الشاكرين " أي : على ذلك ، ولا تطلب ما لا طاقة لك به . ثم اخبر تعالى انه كتب له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيل لكل شيء مواعظَ وأحكاماً مفصلة مبينة للحلال والحرام ، وكانت هذه الألواح مشتملة على التوراة التي قال الله تعالى فيها :﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ القصص: 43 ، وقيل الألواح أُعطيها موسى قبل التوراة ، فالله أعلم . وعلى كل تقدير كانت كالتعويض له

عما سأل من الرؤية ومُنع منها ، والله أعلم . وقوله :" فخذها بقوة " أي : بعزم على الطاعة ،" وأمر قومك يأخذوا بأحسنها " ، قال ابن عباس : أُمر موسى عليه السلام أن يأخذ بأشد ما أمر قومه . قوله : " سأريكم دار الفاسقين " أي : سترون عاقبة من خالف أمري ، وخرج عن طاعتي، كيف يصير الى الهلاك والدمار والتباب . (٥١)

ب- حوار سورة طه (المقطع الأول) الآيات ٩- ٣٦

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ۝١٦ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ۝١٨ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ۝١٩ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ۝٢٠ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ۝٢١ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ۝٢٢ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ۝٢٣ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٢٤ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ۝٢٨ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ۝٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ۝٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ۝٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ۝٣٥ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦ ﴾ طه ٩ - ٣٦

في هذه الآيات يقص الله تعالى على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما جرى مع سيدنا موسى عليه السلام فيبدأ بقوله (وهل أتاك حديث موسى) وتقديره ، وهل أتاك ما فعل موسى أذ رأى ناراً أو نحو هذا ، وكان من قصة موسى عليه السلام انه رحل من مَدين بأهله بنت شعيب وهو يريد ارض مصر ، وكان رجلاً غيوراً فكان يسير الليل بأهله ولا يسير النهار مخافة كشفه الناس ، فضلّ عن طريقه في ليلة مظلمة وندِيّة ، وانه فقدَ الماء فلم يدرِ أين يطلبه ؛ فبينما هو كذلك أذ رأى ناراً فقال لأهله امكثوا ، اي : أقيموا ، " إني آنست ناراً " ، وآنستُ معناه ، أحسست ، والنار على البعد لا تُحس إلا بالأبصار ، فلذلك فسر بعضهم اللفظ برأيت ، و "آنس" أعم من رأى ، و" القبس " الجذوة من النار تكون على رأس العود أو القصبة أو نحوه ، و " الهدى " أراد الطريق ، أي لعلي أجد ذا هدى ، أي مرشداً لي أو دليلاً ، " فلما أتاها " الضمير يعود على النار ، وجدها مضطرمة في شجرة خضراء وقوله " نوديَ " كناية عن تكليم الله له . قوله " أني أنا ربك " ، " إني " بكسر الألف على الابتداء وقرأ " أني " بفتح الألف على معنى " لأجل أني " وقوله " أنا ربك فاخلع نعليك " واختلف المتأولون في السبب الذي من أجله أُمر بخلع النعلين . فقالت فرقة : كانتا من جلد حمار ميت فأُمر بطرح النجاسة ، وقالت فرقة : كانت نعلاه من جلد بقرة ذكي لكن أُمر بخلعها لينال بركة الوادي المقدس وتمس قدماه تربة الوادي يقول ابن عطية : " وتحتمل الآية معنى أخر هو الأليق بها عندي ، وذلك ان الله تعالى أمره ان يتواضع لعظم الحال التي حصل فيها ، والعرف عند الملوك ان تخلع النعلان ويبلغ الإنسان الى غاية تواضعه ، فكان موسى عليه السلام أُمر بذلك على هذا الوجه ، "والمقدس " معناه : المطهر ، و"طوى " معناه : مرتين مرتين ، فقالت فرقة : معناه قُدس مرتين ، وقالت فرقة : معناه : طويته أنت ، اي : سرت به ، اي : طويت لك الأرض مرتين من طيّك ، وقيل : "طوى " بالتنوين على انه اسم المكان ". (٥٢){وَأَنَا اخترتك} اصطفيتك للنبوة {فاستمع لِمَا يُوحَى} للذي يوحى أو للوحي واللام يتعلق باستمع أو باخترتك " إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي" {لا إله إلا أَنَاْ فاعبدني} وحدني وأطعني {وأقم الصلاة لذكري} لتذكرني فيها لاشتمال الصلاة على الأذكار أو لأني ذكرتها في الكتب وأمرت بها أو لأن أذكرك بالمدح والثناء أو لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري أو لتكون لي ذاكراً غير

ناس أو لأوقات ذكري وهي مواقيت الصلاة لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣ ﴾ النساء: ١٠٣وقد حمل على ذكر الصلاة بعد نسيانها وذا يصح بتقدير حذف المضاف أي لذكر صلاتي وهذا دليل على أنه لا فريضة بعد التوحيد أعظم منها .(٥٣)وهنا يأتي السؤال كيف سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى عندما جاء باتجاه النار ؟ وكيف يسمع الإنسان الحادث المخلوق كلام الخالق الله عظيم ؟ لذا اختلف المتكلمون في كلام الله تعالى ، هل هو حادث مخلوق ، أم هو قديم . ؟ فقالت المعتزلة ومن وافقهم : كلامه تعالى حادث وهو عبارة عن أصوات وحروف ، وأنها ليست قائمة بذاته تعالى ، بل يخلقها الله في غيره كاللوح المحفوظ أو الملك جبريل أو النبي أو المكان الذي يريده ، كالشجرة التي سمع موسى منها الكلام . يقول الزمخشري – وهو احد أئمة المعتزلة – : " يخلق الله الكلام كما خلقه في الشجرة حين كلم موسى " . (٥٤)فمعنى كونه متكلماً عندهم : أنه خالق للكلام في بعض الأجسام ، لزعمهم ان الكلام لا يكون الا بحروف وأصوات ، وحينئذ فلا يتصف به المولى بحيث يكون قائما به ، لئلا يلزم قيام الحوادث به لذا فالكلام قائم بغيره تعالى لا بذاته . (٥٥)وقال اهل السنة : كلامه تعالى نوعان الأول : الكلام النفسي : وهو الكلام حقيقة و المعبر عنه بالألفاظ ، ليس من جنس الأصوات والحروف ، بل صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ، وهو بها آمرٌ ناهٍ مخبرٌ وغير ذلك ، وهو قديم قائم بذاته تعالى ، وليس بحادث لإمتناع قيام الحوادث بذاته تعالى ، والكلام النفسي صورة للعلم الذاتي في النفس ، كما ان العلم صورة للمعلوم فيها ، ولذا كان كلامه تعالى لا نهاية له كعلمه ، والكلام النفسي ثابت في اللغة ، لأنه شاع إطلاق اسم الكلام والقول على المعنى القائم بالنفس ، يقولون : (في نفسي مقالة) و (زوّرت في نفسي مقالة) ، وفي القرآن الكريم : قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ ٨ ﴾ المجادلة: ٨ .(٥٦)الثاني : الكلام اللفظي : وهو اصوات وحروف وهو حادث مخلوق . فالقرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بحادث ، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو حادث . لكنه يمتنع أن يقال : القرآن حادث ، إلا في مقام التعليم ، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى النفسي حادث . ولذلك ضُرب الإمام احمد بن حنبل رضي الله عنه ، وحبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يرضَ . (٥٧)ويرى المعتزلة أن الكلام النفسي راجع الى صفة العلم إن كان المدلول خبراً ، وراجع الى صفة الإرادة إن كان أمراً أو نهياً . ورد أهل السنة عليهم بأن الكلام غير العلم ، إذ قد يخبر الرجل عما لا يعلمه ، أو يشك فيه ، وغير الإرادة ، إذ قد يأمر الرجل بما لا يريده ، كالمختبر لعبده ، هل يعطيه أم لا ؟ (٥٨)وأساس الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة عائد الى إثبات كلام النفس ونفيه ، وأن القرآن هو المتلوّ هذا المؤلف من الحروف الذي كلام حسي . وإلا فلا نزاع لنا في حدوث الكلام الحسي _ أي اللفظي _ ولا لهم في قِدم النفسي لو ثبت ، أي عندهم بالدليل القطعي.إذن فالخلاف القائم بين أهل السنة والمعتزلة ينحصر في تسمية الكلام النفسي .فالمعتزلة يقولون : بأن الكلام النفسي لا يسمى كلاماً ، وإنما راجع الى صفة الإرادة إن كان المدلول أمراً أو نهياً ، وراجع الى صفة العلم الى إن كان خبراً .أما أهل السنة فيقولون نسميه الكلام النفسي ، وهو صفة زائدة على الإرادة والعلم ، قائمة بذاته تعالى .(٥٩)ثم قال تعالى : " إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى " ان الساعة ستأتي لا محالة ولكن أخفاء وقتها من الحكمة وهو أنهم إذا لم يعلموا متى تقوم كانوا على وجل منها في كل ، {فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا} فلا يصرفنك عن العمل للساعة أو عن إقامة الصلاة أو عن الإيمان بالقيامة ؛ فالخطاب لموسى والمراد به أمته {مَن لاَّ يُؤْمِنُ بِهَا} لا يصدق بها {واتبع هَوَاهُ} في مخالفة أمره {فتردى} فتهلك ؛ "وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى" والسؤال للتنبيه لتقع المعجزة بها بعد التثبت أو للتوطين لئلا يهول انقلابها حية أو للإيناس ورفع الهيبة للمكالمة " قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى " هي عصاي أعتمد عليها إذا أعييت أو وقفت على رأس القطيع {وَأَهُشُّ بِهَا على غَنَمِى} أخبط ورق الشجر على غنمي لتأكل {ولي فيها مآرب} ولي فيها أعمال أخرى {قال ألقها يا موسى} اطرح عصاك لتفزع مما تتكئ عليه فلا تسكن إلا بنا وترى فيها كنه ما فيها من المآرب فتعتمد علينا في المطالب " فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى" تمشي سريعاً لأنها انقلبت حية ، والحية اسم جنس يقع على الذكر والأنثى

والصغير والكبير " قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى" أي سنعيدها في طريقتها الأولى أي في حال ما كانت عصا والمعنى نردها عصاً كما كانت وأرى ذلك موسى عند المخاطبة لئلا يفزع منها إذا انقلبت حية عند فرعون "وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى" وجناحا الإنسان جنباه والأصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لأنه يجنحهما أي يميلهما عند الطيران والمعنى أدخلها تحت عضدك {تَخْرُجْ بَيْضَاء} لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر {مِنْ غَيْرِ سُوء} اي من غير مرض كالبرص {آيةً أُخرى} لنبوتك ، "لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى " أي خذ هذه الآية أيضاً بعد قلب العصا لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا الكبرى والعظمى .(٦٠){اذهب إلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طغى} جاوز حد العبودية إلى دعوى الربوبية ولما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي وعرف أنه كلف أمراً عظيماً يحتاج إلى صدر فسيح "قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي " وسعه ليحتمل الوحي والمشاق وردئ الأخلاق من فرعون وجنده "وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي " وسهل ما أمرتني به من تبليغ الرسالة إلى فرعون " وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي" وكان في لسانه رتلة للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه وذلك أن موسى أخذ لحية فرعون ولطمه لطمة شديدة في صغره فأراد قتله فقالت آسية أيها الملك إنه صغير لا يعقل فجعلت في طشت ناراً وفي طشت يواقيت ووضعتهما لدى موسى فقصد اليواقيت فأمال الملك يده إلى النار فرفع جمرة فوضعها على لسانه فاحترق لسانه فصار به لكنة منها " يَفْقَهُوا قَوْلِي " عند تبليغ الرسالة " وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي" ظهيراً اعتمد عليه "هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي" اجعله شريكي في النبوة والرسالة " كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا " نصلي لك وننزهك " وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً " في الصلوات وخارجها "إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا "(٣٥)عالماً بأحوالنا ؛ فأجابه الله تعالى حيث " قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى" أعطيت مسئولك فالسؤال الطلبة، فعل بمعنى مفعول، كخبر بمعنى مخبور(٦١) وهذا كله فضل من الله تعالى ، ثم يذكر سبحانه وتعالى منّة اخرى على موسى عليه السلام ، فيقول له:﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ طه ٣٧ - ٤٠"وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ"، أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ، " مَرَّةً أُخْرى" ، يَعْنِي قَبْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ وَهِيَ: " إِذْ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّكَ"، وَحْيُ إِلْهَامٍ، " مَا يُوحى"، مَا يُلْهَمُ. ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ الْإِلْهَامَ ، " أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ"، يعني أَلْهَمْنَاهَا أَنِ اجْعَلِيهِ فِي التَّابُوتِ، " فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ"، يَعْنِي نَهْرَ النِّيلِ، " فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ"، يَعْنِي شاطىء النَّهْرِ، لَفْظُهُ أَمْرٌ وَمَعْنَاهُ خَبَرٌ، ومجازه حَتَّى يُلْقِيَهُ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ، " يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ "، يَعْنِي فِرْعَوْنَ، فَاتَّخَذَتْ تَابُوتًا وَجَعَلَتْ فِيهِ قُطْنًا وَوَضَعَتْ فِيهِ مُوسَى وَقَيَّرَتْ رَأْسَهُ وَخَصَاصَهُ يَعْنِي شُقُوقَهُ ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِي النِّيلِ، وَكَانَ يَشْرَعُ مِنْهُ نَهْرٌ كَبِيرٌ فِي دَارِ فِرْعَوْنَ، فَبَيْنَمَا فِرْعَوْنُ جَالِسٌ عَلَى رَأْسِ الْبِرْكَةِ مَعَ امْرَأَتِهِ آسية إذ التابوت يَجِيءُ بِهِ الْمَاءُ فَأَمَرَ الْغِلْمَانَ وَالْجَوَارِيَ بِإِخْرَاجِهِ، فَأَخْرَجُوهُ وَفَتَحُوا رَأْسَهُ فَإِذَا صَبِيٌّ مِنْ أَصْبَحِ النَّاسِ وَجْهًا، فَلَمَّا رَآهُ فِرْعَوْنُ أَحَبَّهُ بحيث لم يتمالك لبه في محبته ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي" ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَحَبَّهُ وَحَبَّبَهُ إِلَى خَلْقِهِ. قَالَ عِكْرِمَةُ: مَا رَآهُ أَحَدٌ إِلَّا أَحَبَّهُ. قَالَ قَتَادَةُ: مَلَاحَةٌ كَانَتْ فِي عَيْنَيْ مُوسَى، مَا رَآهُ أَحَدٌ إِلَّا عَشِقَهُ. "وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي" ، أي لِتُرَبَّى بِمَرْأًى وَمَنْظَرٍ مِنِّي. (٦٢) " إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ" ، وَاسْمُهَا مَرْيَمُ مُتَعَرِّفَةً خَبَرَهُ، " فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ" ، أَيْ عَلَى امْرَأَةٍ تُرْضِعُهُ وَتَضُمُّهُ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَقْبَلُ ثَدْيَ امْرَأَةٍ فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا: نعم، فجاءت بالأم فضمته وألقمته ثديها فَقَبِلَ ثَدْيَهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: " فَرَجَعْنَاكَ إِلى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُها" ، بِلِقَائِكَ، " وَلا تَحْزَنَ" ، أَيْ لِيذهب عَنْهَا الْحَزَنُ، " وَقَتَلْتَ نَفْساً" ، قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ قَتَلَ قِبْطِيًّا كَافِرًا. قَالَ كَعْبُ الْأَحْبَارِ: كَانَ إِذْ ذَاكَ ابْنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً، " فَنَجَّيْناكَ مِنَ الْغَمِّ" ، أَيْ مِنْ غَمِّ الْقَتْلِ وَكَرْبِهِ، " وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً" ، قَالَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اخْتَبَرْنَاكَ اخْتِبَارًا. وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ: ابْتَلَيْنَاكَ ابْتِلَاءً. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: أَخْلَصْنَاكَ إِخْلَاصًا، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَنَّ الْفُتُونَ وُقُوعُهُ فِي مِحْنَةٍ بَعْدَ مِحْنَةٍ خَلَّصَهُ اللَّهُ مِنْهَا،

أَوَّلُهَا أَنَّ أُمَّهُ حَمَلَتْهُ فِي السَّنَةِ التي كان فرعون يذبح فيها الْأَطْفَالَ، ثُمَّ إِلْقَاؤُهُ فِي الْبَحْرِ فِي التَّابُوتِ، ثُمَّ مَنْعُهُ الرِّضَاعَ إِلَّا مِنْ ثَدْيِ أُمِّهِ، ثُمَّ أَخْذُهُ بِلِحْيَةِ فِرْعَوْنَ حَتَّى هَمَّ بِقَتْلِهِ، ثُمَّ تَنَاوُلُهُ الْجَمْرَةَ بَدَلَ الدرة، ثم قتله القبطي، ثم خروجه إِلَى مَدْيَنَ خَائِفًا فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُصُّ الْقِصَّةَ عَلَى سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، فَعَلَى هَذَا مَعْنَى فتناك خَلَّصْنَاكَ مِنْ تِلْكَ الْمِحَنِ كَمَا يُفْتَنُ الذَّهَبُ بِالنَّارِ فَيُخَلَّصُ مَنْ كُلِّ خَبَثٍ فِيهِ، وَالْفُتُونُ مَصْدَرٌ، " فَلَبِثْتَ " ، فَمَكَثْتَ أَيْ فَخَرَجْتَ مِنْ أرض مصر إلى مدين " فَلَبِثْتَ، سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ" ، يعني ترعى الأغنام لشعيب عَشْرَ سِنِينَ، وَمَدْيَنُ بَلْدَةُ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ثَمَانِ مَرَاحِلَ مِنْ مِصْرَ، هَرَبَ إِلَيْهَا مُوسَى، وَقَالَ وَهْبٌ: لَبِثَ عِنْدَ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ثَمَانِيًا وَعِشْرِينَ سَنَةً، عشر سنين منها مهر زوجته صفوراء بِنْتُ شُعَيْبٍ، وَثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَةً أَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى وُلِدَ لَهُ، " ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يا مُوسى" ، قَالَ مُقَاتِلٌ: عَلَى مَوْعِدٍ وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْمَوْعِدُ مَعَ مُوسَى وَإِنَّمَا كَانَ مَوْعِدًا فِي تَقْدِيرِ اللَّهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: جِئْتَ عَلَى الْقَدْرِ الَّذِي قَدَّرْتُ لك أنك تجيء إليّ فيه. وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ كَيْسَانَ: عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي يُوحَى فِيهِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ أَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، أَيْ عَلَى الْمَوْعِدِ الَّذِي وَعَدَهُ اللَّهُ وَقَدَّرَهُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ بِالرِّسَالَةِ، وَهُوَ أَرْبَعُونَ سَنَةً. (٦٣)﴿ وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١ ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧ ﴾ طه ٤١ - ٤٧ " وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي" تذكير لقوله تعالى: " وَأَنَا اخْتَرْتُكَ" وتمهيد لإرساله عليه السلام إلى فرعون مؤيدا بأخيه و (الاصطناع) افتعال من (الصنع) بمعنى الصنيعة. يقال: اصطنع الأمير فلانا لنفسه، أي جعله محلّا لإكرامه باختياره وتقريبه منه، بجعله من خواص نفسه وندمائه، فاستعير استعارة تمثيلية من ذلك المعنى المشبه به إلى المشبه. وهو جعله نبيّا مكرما كليما منعما عليه بجلائل النعم. " اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآياتِي" أي بمعجزاتي. "وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي" أي لا تفترا ولا تقصّرا في ذكري بما يليق بي من النعوت الجليلة، عند تبليغ رسالتي والدعاء إليّ. " اذْهَبا إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى فَقُولا لَهُ قَوْلًا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشى" أي عقابي ، فإن تليين القول مما يكسر سورة عناد العتاة، ويلين عريكة الطغاة. وقد بيّن ذلك في قوله تعالى:﴿ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ١٨ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ ١٩ ﴾ النازعات ١٨ - ١٩ ، وبمثل ذلك أمر نبينا صلوات الله عليه في قوله تعالى:﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ١٢٥ ﴾ النحل: ١٢٥" قالا رَبَّنا إِنَّنا نَخافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا" أي يبادرنا بالعقوبة " أَوْ أَنْ يَطْغى" أي يزداد طغيانا بالعناد، في دفع حججنا، ثم يأمر بقتلنا، أو بالتخطي إلى أن يقول في شأنك ما لا ينبغي، لجرأته وقسوة قلبه. " قالَ لا تَخافا" أي من فرطه وطغيانه " إِنَّنِي مَعَكُما" أي بالحفظ والنصرة " أَسْمَعُ وَأَرى" أي ما يجري بينكما وبينه. فأرعاكما بالحفظ. " فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ" أي بإطلاقهم من الأسر والعبودية. وتسريحهم معنا إلى وطننا فلسطين " وَلا تُعَذِّبْهُمْ" أي بإبقائهم على ما هم عليه من التسخير والتذليل في الأمور الشاقة " قَدْ جِئْناكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ" أي تحقق رسالتي إليك منه تعالى بذلك " وَالسَّلامُ عَلى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدى" أي فصدق بآيات الله المبينة للحق. وفيه من ترغيبه في اتباعهما، على ألطف وجه، ما لا يخفى.(٦٤)

ج- والحوار الآخر في سورة طه :

هو في قوله تعالى:﴿ ۞ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ٨٥ ﴾ طه ٨٣ - ٨٥ ، " وَما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا مُوسى" أي : أيّ شيء عجّل بك عنهم، على سبيل الإنكار، وكان قد مضى مع النقباء الذين اختارهم من قومه إلى الطور، على الموعد المضروب، ثم تقدمهم شوقا إلى كلام ربه ورضاه ، " قالَ هُمْ أُولاءِ عَلى أَثَرِي" أي: قادمون ينزلون بالطور، وإنما سبقتهم بما

ظننت أنه خير. ولذا قال: " وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى" أي: عني، بمسارعتي إلى الامتثال بأمرك. واعتنائي بالوفاء بعهدك. وزيادة (ربّ) لمزيد الضراعة والابتهال، رغبة في قبول العذر. " قالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ" أي: ابتليناهم بعد ذهابك للمناجاة وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُ ؛ يعني اليهوديّ الذي وسوس لهم أن يعبدوا عجلا يتخذوه إلهاً، لما طالت عليهم غيبة موسى ويئسوا من رجوعه. و (السامريّ) في لغة العرب، بمعني اليهودي. وقد قال بالظن، من ادعى تسميته أو حاول تعيينه. وأما الطائفة السامريّة الآن فهم فئة من اليهود في (نابلس) قليلة العدد تخالف بقية اليهود في جلّ عاداتها.(٦٥)

د- حوار سورة الشعراء

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ **الشعراء: ١٠ - ١٧**

" وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسى " وَالنِّدَاءُ الدعاء بيا فُلَانُ، أَيْ قَالَ رَبُّكَ يَا مُوسَى: " أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" ثُمَّ أَخْبَرَ مَنْ هُمْ فقال: " قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلا يَتَّقُونَ" فـ" قَوْمَ" بَدَلٌ، وَمَعْنَى" أَلا يَتَّقُونَ" أَلَا يَخَافُونَ عِقَابَ اللَّهِ ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى، قُلْ لَهُمْ " أَلَا تَتَّقُونَ" وَجَاءَ بِالْيَاءِ لِأَنَّهُمْ غُيَّبٌ وَقْتَ الْخِطَابِ، " قالَ رَبِّ" أَيْ قَالَ مُوسَى " رَبِّ إِنِّي أَخافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ" أَيْ فِي الرِّسَالَةِ وَالنُّبُوَّةِ. " وَيَضِيقُ صَدْرِي" لِتَكْذِيبِهِمْ إِيَّايَ. ومعنى " وَلا يَنْطَلِقُ لِسانِي" فِي الْمُحَاجَّةِ عَلَى مَا أُحِبُّ، وَكَانَ فِي لِسَانِهِ عُقْدَةٌ " فَأَرْسِلْ إِلى هارُونَ" ، وَاجْعَلْهُ رَسُولًا مَعِي لِيُؤَازِرَنِي وَيُظَاهِرَنِي وَيُعَاوِنَنِي، وَكَأَنَّ مُوسَى أُذِنَ لَهُ فِي هَذَا السُّؤَالِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ اسْتِعْفَاءً مِنَ الرِّسَالَةِ بَلْ طَلَبَ مَنْ يُعِينُهُ. فَفِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ مَنْ لَا يَسْتَقِلُّ بِأَمْرٍ، وَيَخَافُ مِنْ نَفْسِهِ تَقْصِيرًا، أَنْ يَأْخُذَ مَنْ يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَيْهِ، وَلَا يَلْحَقُهُ فِي ذَلِكَ لَوْمٌ. " وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخافُ أَنْ يَقْتُلُونِ" الذَّنْبُ هُنَا قَتْلُ الْقِبْطِيِّ فَخَافَ مُوسَى أَنْ يَقْتُلُوهُ بِهِ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْخَوْفَ قَدْ يَصْحَبُ الْأَنْبِيَاءَ وَالْفُضَلَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِاللَّهِ وَأَنْ لَا فَاعِلَ إِلَّا هُوَ، إِذْ قَدْ يُسَلِّطُ مَنْ شَاءَ عَلَى مَنْ شَاءَ. " قالَ كَلَّا" أَيْ: كَلَّا لَنْ يَقْتُلُوكَ. فَهُوَ رَدْعٌ وَزَجْرٌ عَنْ هَذَا الظَّنِّ، وَأَمْرٌ بِالثِّقَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى، أَيْ ثِقْ بِاللَّهِ وَانْزَجِرْ عَنْ خَوْفِكَ منهم، فإنهم لا يقدرون على قتلك، وَلَا يَقْوَوْنَ عَلَيْهِ. " فَاذْهَبا" أَيْ : أَنْتَ وَأَخُوكَ فَقَدْ جَعَلْتُهُ رَسُولًا مَعَكَ. " بِآياتِنا" أَيْ بِبَرَاهِينِنَا وبالمعجزات." إِنَّا مَعَكُمْ" يُرِيدُ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى." مُسْتَمِعُونَ" أَيْ سَامِعُونَ مَا يَقُولُونَ وَمَا يُجَاوِبُونَ. وَإِنَّمَا أَرَادَ بِذَلِكَ تَقْوِيَةَ قَلْبَيْهِمَا وَأَنَّهُ يُعِينُهُمَا وَيَحْفَظُهُمَا، " فَأْتِيا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعالَمِينَ" رَسُولُ بِمَعْنَى رِسَالَةٌ وَالتَّقْدِيرُ عَلَى هَذَا، إِنَّا ذَوُو رِسَالَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ فِي مَعْنَى الِاثْنَيْنِ وَالْجَمْعِ، فَتَقُولُ الْعَرَبُ: هَذَا رَسُولِي وَوَكِيلِي، وَهَذَانِ رَسُولِي وَوَكِيلِي، وَهَؤُلَاءِ رَسُولِي وَوَكِيلِي. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. " أَنْ أَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ" أَيْ: أَطْلِقْهُمْ وَخَلِّ سَبِيلَهُمْ حَتَّى يَسِيرُوا مَعَنَا إِلَى فِلَسْطِينَ وَلَا تَسْتَعْبِدْهُمْ .(٦٦)

ه- حوار سورة النمل :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ **النمل: ٧ - ١٣**يقول الحق جلّ جلاله: واذكر إِذْ قالَ مُوسى لِأَهْلِهِ،اي : زوجته ومن معه، عند مسيره من مدْين إلى مصر: " إِنِّي آنَسْتُ" أي: أبصرت نارا، " سَآتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ" عن حال الطريق التي ضل عنها. والسين للدلالة على نوع بُعد في المسافة، وتأكيد الوعد. " أَوْ آتِيكُمْ بِشِهابٍ قَبَسٍ" أي: شعلة نار مقبوسة، أي: مأخوذة ،

والقبس، الجامع لمنفعتي الضياء والاصطلاء لأن من النار ما ليس بقبس، كالجمرة ، وأتى بأو لأنه بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه معاً لم يعدم واحدة منهما، إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار ، ولم يدرِ أنه ظافر بحاجته الكبرى، وهي عزّ الدنيا والآخرة، " فَلَمَّا جاءَها نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَها وَسُبْحانَ اللَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ" ، فَلَمَّا جاءَها أي: النار التي أبصرها نُودِيَ من جانب الطور أَنْ بُورِكَ، أي: قدّس، أو: جعل فيه البركة والخير.(٦٧)مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَها أي: نوره وسره، الذي قامت به الأشياء، من باب قيام المعاني بالأواني، كانت النار نوره تعالى، وإنما ذكره بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً، والعرب تضع أحدهما موضع الآخر. ومنه حديث: «حجُابه النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبحات وجهه كلَّ شيء ادركه بصره»(٦٨) ، أي: حجابه النور الذي تجلى به في مظاهر خلقه، فالأواني حجب للمعانى، والمعاني هى أنوار الملكوت، الساترة لأسرار الجبروت، السارية في الأشياء، وقال سعيد بن جبير: (هي النار بعينها) ، وهي إحدى حجب الله تعالى. ثم استدل بالحديث: «حجابة النار» ومعنى كلامه: ان الله تعالى احتجب في مظاهر تجلياته، وهي كثيرة، ومن جملتها النار، فهي إحدى الحجب التي احتجب الحق تعالى بها، ثم نادى موسى منها وسمع كلامه من جهتها، ثم نزّه- سبحانه- ذاته المقدسة عن الحلول والاتحاد، فقال: " وَسُبْحانَ اللَّهِ " أي: تنزيهاً له عن الحلول في شيء، وهو رَبِّ الْعالَمِينَ ثم قال :" يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" يا مُوسى إِنَّهُ أي: الأمر والشأن أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ أو: إنه، أي: مكلمك، الله العزيز الحكيم، وهو تمهيد لما أراد أن يظهر على يديه من المعجزات. وَأَلْقِ عَصاكَ لتعلم معجزتها، فتأنس بها، " فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ" تتحرك يميناً وشمالاً، " كَأَنَّها جَانٌّ" حية صغيرة وَلَّى موسى مُدْبِراً أي: أدبر عنها، وجعلها تلي ظهره، خوفاً من وثوب الحية عليه، " وَلَمْ يُعَقِّبْ" لم يرجع على عقبيه، من: عقّب المقاتل: إذا كرّ بعد الفر. والخوف من الشيء المكروه أمر طبيعي، لا يتخلف، وليس في طوق البشر.قال له تعالى: " يا مُوسى لا تَخَفْ" من غيري، ثقة بي، أو: لا تخف مطلقاً إِنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ أي: لا يخاف المرسلون عند خطابي إياهم، فإنهم مستغرقون في شهود الحق، لا يخطر ببالهم خوف ولا غيره. وأما في غير أحوال الوحي فهم أشد الناس خوفاً منه سبحانه، أو: لا يخافون من غيري، لأنهم لديَّ في حفظي ورعايتي. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أي: لكن من ظَلَم مِن غيرهم لأن الأنبياء لا يَظلمون قط، فهو استثناء منقطع، استدرك به ما عسى يختلج في العقل، من نفي الخوف عن كلهم، مع أن منهم من فرطت منه صغيرة مما يجوز صدوره عن الأنبياء- عليهم السلام- كما فرط من آدم، وموسى، وداود، وسليمان- عليهم السلام- فحسنات الأبرار سيئات المقربين. وقد قصد به التعريض بما وقع من موسى عليه السلام من وكزه القبطيّ.وسماها ظلماً، كقوله عليه السلام في سورة القصص: قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ القصص: ١٦(٦٩)ثم قَالَ تَعَالَى:﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ النمل: ١٢ - ١٤يقول الحق جلّ جلاله: وَأَدْخِلْ يَدَكَ يا موسى فِي جَيْبِكَ في جيب قميصك. والجيب: الفتح في الثوب لرأس الإنسان. قال الثعلبي: إنما أمره بذلك لأنه كان عليه مدرعة صوف، لا كُم لها. " تَخْرُجْ بَيْضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ " من غير آفة، كبَرَصٍ ونحوه، " فِي تِسْعِ آياتٍ " أي: هاتان الآيتان في جملة تسع آيات، " إِلى فِرْعَوْنَ" متعلق بمحذوف، أي: مرسلاً، أو: ذاهباً " إلى فرعون وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كانُوا قَوْماً فاسِقِينَ" خارجين عن أمر الله، كافرين به. " فَلَمَّا جاءَتْهُمْ آياتُنا" اي: معجزاتنا، وظهرت على يد موسى، حال كونها " مُبْصِرَةً " بيّنة واضحة، وهي اسم فاعل، أطلق على المفعول، إشعاراً بأنها لفرط ظهورها كأنها تبصر نفسها مبالغة في وضوحها، وإلا فهي مبصرة لمن ينظر ويتفكر فيها. أو: ذات تبصر لأنها تهدي من يتبصر بها. فلما جاءتهم " قالُوا هذا سِحْرٌ مُبِينٌ" واضح سحريته ، " وَجَحَدُوا بِها" أي: كذّبوا بها وَقد " اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ" أي: علمتها علماً يقيناً، فالاستيقان: أبلغ من الإيقان. يعني: أنهم جحدوا بألسنتهم واستيقنوها في قلوبهم. " ظُلْماً" : حال من ضمير (جحدوا) أي: ظالمين في ذلك، ولا ظلم أفحش ممن تيقن أنها آيات من عند الله، وسماها سحراً بيّناً، "وَعُلُوًّا"

تكبراً وترفعاً عن الإيمان بموسى عليه السلام، وهو أيضاً حال، أو: علة، " فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ" وهو الإغراق في الدنيا، والإحراق في الآخرة. نسأل الله العافية.(٧٠) " ففرعون كان عالماً بأن الله أنزل الآيات وهو من أكبر خلق الله عناداً وبغيًا لفساد إرادته وقصده لا لعدم علمه. قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ الـ نمل: ١٤، وكذلك اليهود الذين قال الله فيهم:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾الـ بقرة: 146 " (٧١) ".والآيات التسع التي أُعطيت لموسى عليه السلام ؛ كما قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ هِيَ: الْعَصَا، وَالْيَدُ، وَالسِّنُونَ. وَالْبَحْرُ، وَالطُّوفَانُ، وَالْجَرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمُ، آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ، وَقَدْ بَيَّنَ جَلَّ وَعَلَا هَذِهِ الْآيَاتِ فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ. كَقَوْلِهِ:﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الأعـ راف:١٠٧ - ١٠٨وقوله:﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّن ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ الأعـ راف:١٣٠وقوله:﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ الشعراء: ٦٣ وقوله:﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعـ راف:١٣٣إلى غير ذلك من الآيات المبينة لما ذكرنا. وجعل بعضهم الجبل بدل «السنين» وعليه فقد بين ذلك قوله تعالى:﴿ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾الأعـ راف: 171 ، ونحوها من .... الآيات.] " (٧٢).

و- حوار سورة القصص :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الـ قصص: ٢٩ - ٣٥قوله تعالى: " فَلَمَّا قضى مُوسَى الأجل" أي: الذي اتفق عليه مع شعيب عليه السلام " وَسَارَ بِأَهْلِهِ" والأهل تُطلق على الزوجة، ومعنى " آنَسَ" يعني: أبصر ورأى أو أحسَّ بشيء من الأُنس، " الطور" اسم الجبل " قَالَ لأَهْلِهِ امكثوا " انتظروا " إني آنَسْتُ نَاراً " يخبرها بوجود النار، وهذا يعني أنها لم تَرَها كما رآها هو.وهذا دليل على أنها ليست ناراً مادية يُوقِدها بشر، وإلا لاستوى أهله معه في رؤيتها، فهذا إذن أمر خاص به " لعلي آتِيكُمْ مِّنْهَا بِخَبَرٍ" يعني: رجاءَ أنْ أجد مَنْ يخبرنا عن الطريق، ويهدينا إلى أين نتوجه " أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النار لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" الجذوة: قطعة من نار متوهجة ليس لها لَهَب، ومعنى تصطلون أي: تستدفئون بها، فمأربهم – إذن – على هذه الحال أمران: مَنْ يخبرهم بالطريق حيث تاهَتْ بهم الخُطَى في مكان لا يعرفونه، أو جذوة نار يستدفئون بها من البرد. (٧٣)

وفي موضع آخر لهذه القصة لم يذكر قوله تعالى: {قَالَ لأَهْلِهِ} وهذا من المآخذ التي يأخذها السطحيون على أسلوب القرآن، لكن بتأمل الموقف نرى أنه أخذ صورة المحاورة بين موسى وأهله؛ فزوجة وزوجها ضَمَّهما الظلام في مكان موحش، لا يعرفون به شيئاً، ولا يهتدون إلى طريق، والجو شديد البرودة، فمن الطبيعي حين يقول لها: إني رأيت ناراً سأذهب لأقتبس منها أن تقول له: كيف تتركني وحدي في هذا المكان؟ فربما تضلّ أنت أو أضلّ أنا، فيقول لها {امكثوا ... } إذن: لا بُدَّ أن هذه العبارة تكررتْ على صيغتين كما حكاها القرآن الكريم، كذلك في:﴿ سَـَٔاتِيكُم ۝٧ ﴾ الـ ـل: 7 ، وهنا { لعلي آتِيكُمْ } قالوا: لأنه لما رأى النار قال: {سَآتِيكُمْ} على وجه اليقين، لكن لما راجع نفسه، فربما طفئت قبل أن يصل إليها استدراك، فقال { لعلي آتِيكُمْ } على سبيل رجاء غير المتيقن.﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾ وكأن الحق – تبارك وتعالى – يريد أنْ يعطينا خريطة تفصيلية للمكان،ومضمون النداء: " يا موسى إني أَنَا الله رَبُّ العالمين" سمع موسى هذا النداء ومع النداء يرى النار تشتعل في فرع من الشجرة، النار تزداد اشتعالاً، والشجرة تزداد خضرة، فلا النار تحرق الشجرة بحرارتها، ولا الشجرة تُطفيء النار برطوبتها. فهي – إذن – مسألة عجيبة يحَارُ فيها الفكر، فهل يستقبل كُلَّ هذه العجائب بسهولة أم لا بُدَّ له من مراجعة؟

ثم يقول الحق سبحانه: " وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ " . فإنه رأى عجيبة أخرى أعجب مما سبق فلو سلَّمنا باشتعال النار في خُضْرة الشجرة، فكيف نُسلِّم بانقلاب العصا جاناً يسعى ويتحرك؟ ؛ وكان من الممكن أنْ تنقلبَ العصا الجافة إلى شجرة خضراء من جنس العصا، وتكون أيضاً معجزة، أما أنْ تتحول إلى جنس آخر، وتتعدَّى النباتية إلى الحيوانية ، والحيوانية المتحركة المخيفة ؛ فهذا شيء عجيب غير مألوف. (٧٤)وهنا كلام محذوف؛ لأن القرآن الكريم مبنيٌّ على الإيجاز، فالتقدير: فألقى موسى عصاه " فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ولى مُدْبِراً " ذلك ليترك للعقل فرصة الاستنباط، ويُحرِّك الذِّهْن لمتابعة الأحداث ، ومعنى " ولى مُدْبِراً " يعني: انصرف خائفاً،" وَلَمْ يُعَقِّبْ " لم يلتفت إلى الوراء، فناداه ربه: " يا موسى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ " يعني: ارجع ولا تخَفْ من شيء، ثم يعطيه القضية التي يجب أن تصاحبه في كل تحركاته في دعوته " إِنَّكَ مِنَ الآمنين" فلم يقل ارجع فسوف أؤمنك في هذا الموقف إنما " إِنَّكَ مِنَ الآمنين" يعني: هي قضية مستمرة ملازمة لك؛ لأنك في مَعيّة الله، ومَنْ كان في معية الله لا يخاف، وإلا لو خِفْتَ الآن، فماذا ستفعل أمام فرعون.(٧٥)وهكذا يعطي الحق – سبحانه وتعالى – لموسى – عليه السلام – دُرْبة معه سبحانه، ودُرْبة حتى يواجه فرعون وسَحرته والملأ جميعاً دون خوف ولا وَجَل، وليكون على ثقة من نصر الله وتأييده في جولته الأخيرة أمام فرعون ، وقد انتفع موسى – عليه السلام – بكل هذه المواقف، وتعلَّم من هذه العجائب التي رآها فزادتْه ثقةً وثباتاً؛ لذلك لما كاد فرعون أنْ يلحقَ بموسى وقومه، وقالو:﴿ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ ﴾الشعراء: ٦١، استعاد موسى عليه السلام قضية " إِنَّكَ مِنَ الآمنين" فقال بملء فيه:﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢ ﴾ الشعراء: ٦٢، فحيثية الثقة عند موسى – عليه السلام – هي معيّة الله له، وهذا الأمن قد كفله الله تعالى لجميع أنبيائه ورسله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ ۝١٧٣ ﴾ الصافات: ١٧١ - ١٧٣لذا قال تعالى هنا : " يا موسى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ المرسلون" ، ثم ينقل الحق تبارك وتعالى موسى عليه السلام إلى آية أخرى تضاف إلى معجزاته فقال له : " اسلك يَدَكَ فِي جَيْبِكَ" ، يعني: أدخلها {فِي جَيْبِكَ. .} الجيب: فتحة الثوب من أعلى، وسَمَّوْها جَيْباً؛ لأنهم كانوا يجعلون الجيوب مكان حِفْظ الأموال في داخل الثياب حتى لا تُسرق، فكان الواحد يُدخِل يده في قبَّة الثوب لتصل إلى جيبه ، ونلحظ هنا دقة الأداء القرآني" تخْرُجْ بَيْضَآءَ " ولم يقُلْ بصيغة الأمر: وأخرجها، كما قال " اسلك يَدَكَ" وكأن العملية عملية آلية منضبطة بدقة، فبمجرد أن يُدخِلها تخرج هي بيضاء، فكأن إرادته على جوارحه كانت في الإدخال، أما في الإخراج فهي لقدرة الله ، وكلمة " بَيْضَاءَ " أي: مُنوّرة دون مرض،

والبياض لا بُدَّ أن يكون عجيباً في موسى – عليه السلام – لأنه كان أسمر اللون؛ لذلك قال: " مِنْ غَيْرِ سواء" حتى لا يظنوا به بَرصاً مثلاً، فهو بياض طبيعي مُعْجِز. (٧٦)وقوله تعالى: " واضمم إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرهب " الجناحان في الطائر كاليدين في الإنسان، فالمعنى: اضمُمْ إليك يديك يذهب عنك الخوف ، ومعنى " فَذَانِكَ " ذا: اسم إشارة للمفرد ونقول: ذان اسم إشارة للمثنى، والكاف للخطاب، والمراد: الإشارة لمعجزتي العصا واليد " بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ" والبرهان: هو الحجة والدليل على صِدْق المبرهَن عليه " إلى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ " لأن فرعون ادَّعى الألوهية، وملؤه استخفهم فأطاعوه " إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً فَاسِقِينَ" أي: جميعاً فرعون والملأ " فَاسِقِينَ" أي: خارجين عن الطاعة من قولنا فسقتِ الرُّطَبة يعني: خرجتْ من قشرتها ، والمراد هنا الحجاب الديني الذي يُغلِّف الإنسان، ويحميه ويعصمه أنْ يتأثر بعوامل المعصية، فإذا انسلخ من هذا الثوب، ونزع هذا الحجاب، وتمرَّد على المنهج تكشفتْ عورته، وبانتْ سَوْءَته. (٧٧)" قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ" فما زال موسى – عليه السلام – خائفاً من مسألة قتْل القبطيِّ؛ لذلك يطلب من ربه أنْ يؤيده، ويعينه بأخيه ، فيقول: " وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ" ومعنى الرِّدْء: المعين، وموسى – عليه السلام – وهو صغير في بيت فرعون أصابته لَثْغة في لسانه، فكان ثقيل النطق لا ينطلق لسانه؛ لذلك أراد أنْ يستعين بفصاحة أخيه هارون ليؤيده، ويُظهر حجته، ويُزيل عنه الشبهات ، " فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءاً يُصَدِّقُنِي" يعني: معيناً لي حتى لا يُكذِّبني الناس، فيكون رسولاً مِثْلِي بتكليف من الله ؛ لذلك نرى الآيات تتحدث عن هارون على أنه رسول شريك لموسى في رسالته، يقول تعالى في شأنهما:﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ طه ٤٣ – ٤٤، فإذا نظرنا إلى وحدة الرسالة فَهُما رسول واحد، وهذا واضح في قوله تعالى:﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٦، وجاء على لسان فرعون:﴿ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ الشعراء: ٣٧ ، بصيغة المفرد. كما لو بعث الرئيس رسالة مع اثنين أو ثلاثة إلى نظيره في دولة أخرى، نُسمِّي هؤلاء جميعاً (رسول) ؛ لأن رسالتهم واحدة، فإذا نظرتَ إلى وحدة الرسالة من المرسل إلى المرسَل إليه فهما واحد، وإذا نظرتَ إلى كلٍّ على حِدَة فهما رسولان ، وقد ورد أيضاً:﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴿٤٧﴾ ﴾ طه :47 ؛ فخاطبهم مرة بالمفرد، ومرة بالمثنى. " قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ " لأن موسى قال في موضع آخر:﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ ﴾ طه ٣١ - ٣٢ ، وقوله تعالى:" سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ تعبير بليغ يناسب المطلوب من موسى؛ لأن الإنسان يزاول أغلب أعماله أو كلها تقريباً بيديه، والعضلة الفاعلة في الحمل والحركة هي العَضُد.فالمعنى: سنُقوِّيك بقوة مادية." وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً " هذه هي القوة المعنوية، وهي قوة الحجة والمنطق والدليل، فجمع لهما: القوة المادية، والقوة المعنوية؛ لذلك قال بعدها " فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا" أي: نُنجيكم منهم، لكن معركة الحق والباطل لا تنتهي بنجاة أهل الحق، إنما لا بُدَّ من نُصرتهم على أهل الباطل، وفَرْق بين رجل يهاجمه عدوه فيغلق دونه الباب، وتنتهي المسألة عند هذا الحد، وبين مَنْ يجرؤ على عدوه ويغالبه حتى ينتصر عليه، فيكون قد منع الضرر عن نفسه، وألحق الضرر بعدوه ، وهذا هو المراد بقوله تعالى: " أَنتُمَا وَمَنِ اتبعكما الغالبون" وهكذا أزال الله عنهم سلبية الضرر، ومنحهم إيجابية الغلبة، ونلحظ توسط كلمة " بآياتنا " بين العبارتين: " فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا " و " أَنتُمَا وَمَنِ اتبعكما الغالبون" فهي إذن سبب فيهما: فبآياتنا ومعجزاتنا الباهرات ننجيكم، وبآياتنا ومعجزاتنا ننصركم، فهي كلمة واحدة تخدم المعنيين، وهذا من وجوه بلاغة القرآن الكريم.(٧٨)

المبحث الرابع
حوار الله تعالى مع عيسى عليه السلام

ورد في القرآن الكريم أن الله تعالى بلّغ عيسى عليه السلام بأُمور كقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ آل عمران: ٥٥ وقوله تعالى :﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًاۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِيۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِيۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾المائدة: ١١٠انه لم يرد حوار بين الله تعالى وعيسى عليه السلام إلا في أواخر سورة المائدة وهو الحوار الوحيد ، وسبب هذا الحوار هو ما دار بين عيسى عليه السلام والحواريين _ وهم الخواص والأصفياء من أصحاب عيسى عليه السلام _ من كلام حول قدرة الله تعالى ، وهل انه يستطيع ان ينزل عليهم مائدة يأكلوا منها لكي يطمأنوا ويصدقوا بعيسى، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾ المائدة: ١١٢ - ١١٣ .وفي سؤالهم هذا أرى أنهم قد جانبوا الأدب مرتين ، الأولى : في قولهم : يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك ، ولم يقولوا أدعو لنا ربك ، وكأنه إنكار لقدرة الله تعالى ، والثانية : في قولهم : ربك . ولم يقولوا ربنا وكأنهم يفصلون أنفسهم عن نبيهم ويجعلونه موضع الاختبار.ويكشف لنا هذا الحوار عن طبيعة قوم عيسى – المستخلصين منهم وهم الحواريون – فإذا بينهم وبين أصحاب رسولنا– صلى الله عليه وسلم– فرق بعيد..إنهم الحواريون الذين ألهمهم الله الإيمان به وبرسوله عيسى. فآمنوا. وأشهدوا عيسى على إسلامهم.. ومع هذا فهم بعد ما رأوا من معجزات عيسى ما رأوا، يطلبون خارقة جديدة. تطمئن بها نفوسهم. ويعلمون منها أنه صدقهم. ويشهدون بها له لمن وراءهم ، فأما أصحاب محمد– صلى الله عليه وسلم– فلم يطلبوا منه خارقة واحدة بعد إسلامهم.. لقد آمنت قلوبهم واطمأنت منذ أن خالطتها بشاشة الإيمان. ولقد صدقوا رسولهم فلم يعودوا يطلبون على صدقه بعد ذلك البرهان ، ولقد شهدوا له بلا معجزة إلا هذا القرآن... هذا هو الفارق الكبير بين حواريي عيسى عليه السّلام– وحواريي محمد– صلى الله عليه وسلم– ذلك مستوى، وهذا مستوى.. وهؤلاء مسلمون وأولئك مسلمون.. وهؤلاء مقبولون عند الله وهؤلاء مقبولون.. ولكن تبقى المستويات متباعدة كما أرادها الله ." (٧٩)وهنا يبدأ الحوار بين النبي عيسى عليه السلام وربه الكريم ، وذلك بدعاء عيسى عليه السلام الذي يفيض أدباً وإجلالاً لربه الكريم .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ المائدة: ١١٤ - ١٢٠

" فدعا الله بهذا الدعاء وناداه بالاسم الكريم الدال على الألوهية والقدرة والحكمة إلى نحو أولئك من صفات الكمال، ثم باسم الرب الجامع لمعنى الملك والتدبير والتربية والإنعام أي: يا الله يا مالك أمرنا ومتولي تربيتنا أنزل علينا مائدة سماوية يراها هؤلاء المقترحون بأبصارهم وتتغذي بها أبدانهم، وتكون عيدا خاصا بنا معشر المؤمنين دون غيرنا بأول من آمن منا وآخر من آمن، واجعلها علامة من لدنك ترشد القوم إلى صحة دعوتي وصدق نبوتي، وارزقنا منها ومن غيرها ما به تتغذى أجسامنا، فأنت خير الرازقين ترزق من تشاء بغير حساب، ومن محاسن هذا الدعاء أنه أخر ذكر الفائدة المادية للمائدة عن ذكر فائدتها الدينية الروحية، بعكس ما فعله الحواريون، إذ قدموا الأكل على غيره من الفوائد الأخرى." قالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُها عَلَيْكُمْ" أي: وعد الله عيسى بإنزال المائدة مرة أو مراراً لكنه رتب شرطا على هذا الوعد فقال: " فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعالَمِينَ" أي: إن من يكفر منكم بعد نزول هذه الآية التي اقترحتموها، وجاءت بطريق لا لبس فيه ولا شك، فإني أعذبه عذابا شديدا لا أعذب مثله أحدا من سائر كفار العالمين، لأن عقاب المخطئ أو الكافر يكون بقدر تأثير الخطيئة أو الكفر في نفسه، والبعد فيه عن الشبهة والعذر، وأي شبهة أو عذر لمن يرى الآيات من رسوله تترى، ثم يقترح آية خاصة تشترك في العلم بها حواسه جميعا وينتفع بها في دنياه قبل آخرته، فيعطى ما طلب، ثم ينكص بعد ذلك كله على عقبيه ويكون من الكافرين" . (٨٠) قال ابن كثير: " عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: مَائِدَةٌ عَلَيْهَا طَعَامٌ، أَبَوْهَا حِينَ عُرِضَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ إِنْ كَفَرُوا، فَأَبَوْا أَنْ تَنزل عَلَيْهِمْ،... لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: {فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} قَالُوا: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهَا، فَلَمْ تَنْزِلْ ، وَقَدْ يَتَقَوَّى ذَلِكَ بِأَنَّ خَبَرَ الْمَائِدَةِ لَا تَعْرِفُهُ النَّصَارَى وَلَيْسَ هُوَ فِي كِتَابِهِمْ، وَلَوْ كَانَتْ قَدْ نَزَلَتْ لَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا يَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَلَى نَقْلِهِ، وَكَانَ يَكُونُ مَوْجُودًا فِي كِتَابِهِمْ مُتَوَاتِرًا، وَلَا أَقَلَّ مِنَ الْآحَادِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلَكِنَّ الَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهَا نَزَلَتْ، وَهُوَ الَّذِي اخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ، قَالَ: لِأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ بِنُزُولِهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: {إِنِّي مُنزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} قَالَ: وَوَعْدُ اللَّهُ وَوَعِيدُهُ حَقٌّ وَصِدْقٌ، وَهَذَا الْقَوْلُ هُوَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- الصَّوَابُ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ وَالْآثَارُ عَنِ السَّلَفِ وَغَيْرِهِمْ" .(٨١)ثم ينتقل الحوار من مسألة المائدة والطعام التي تمثل الماديات العينية ، الى المسألة الكبرى التي من أجلها بُعث الأنبياء ، وهي الإيمان والإقرار بالإلوهية والوحدانية لله تعالى ." وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ "قوله تَعَالَى : " إِذ قَالَ الله يَا عِيسَى ابْن مَرْيَم" اخْتلفُوا فِي أَن هَذَا القَوْل مَتى يكون؟ فقيل : إِنَّمَا قَالَ الله تَعَالَى ذَلِك حِين رَفعه إِلَى السَّمَاء؛ لِأَن قَوْله: " إِذْ للماضي، وَالصَّحِيح أَنه يكون فِي الْقِيَامَة، وَالْقِيَامَة وَإِن لم تكن بعد، وَلكنهَا فِي علم الله، فَلَمَّا كَانَت كائنة لَا محَالة فَهِيَ كالكائنة؛ فصح قَوْله: " وَإِذ قَالَ الله"، وقيل: هَذَا سُؤال توبيخ وَالْمرَاد بِهِ: قومه، وَكَانَت الْحِكْمَة فِي سُؤَاله عَنهُ؛ حَتَّى يسمع قومه إِنْكَاره ؛ لأَنهم كَانُوا يدعونَ أَن عِيسَى أَمرهم (باتخاذه إِلَهًا) ؛ فَإِن قَالَ قَائِل: هم لم يتخذوا أمه إِلَيْهَا؛ فَمَا معنى قَوْله: " اتخذوني وَأمي إِلَهَيْنِ من دون الله" ؟ قيل: إِنَّه – جلّ وَعز – لما أَرَادَ ذكر عِيسَى مَعَ أمه، قَالَ:" إِلَهَيْنِ" ، فَقيل: إِن عِيسَى كَانَ بَعْضًا لمَرْيَم، فَلَمَّا اتخذوه إِلَهًا؛ فكأنهم اتَّخذُوا أمه إِلَهًا؛ فَقَالَ: " إِلَهَيْنِ من دون الله" ، " قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يكون لي أَن أَقُول مَا لَيْسَ لي بِحَق إِن كنت قلته فقد علمته" اشْتغل أَولا بالثناء عَلَيْهِ والتنزيه، وَنسبه إِلَى الْقُدس وَالطَّهَارَة ، ثمَّ قَالَ : " تعلم مَا فِي نَفسِي وَلَا أعلم مَا فِي نَفسك إِنَّك أَنْت علام الغيوب" تعلم حَقِيقَة أَمْرِي، وَلَا أعلم حَقِيقَة أَمرك، وَقيل: مَعْنَاهُ: تعلم مَا فِي غيبي وَلَا أعلم مَا فِي غيبك، وَعَلِيهِ دلّ قَوْله: {إِنَّك أَنْت علام الغيوب} وَهُوَ معنى الأول، اي: " مَا قلت لَهُم إِلَّا مَا أَمرتنِي بِهِ أَن اعبدوا الله ربِي وربكم وَكنت عَلَيْهِم شَهِيدا مَا دمت فيهم فَلَمَّا توفيتني" أَي: رفعتني، " كنت أَنْت الرَّقِيب عَلَيْهِم وَأَنت على كل شَيْء شَهِيد" . (٨٢)

قَوْله تَعَالَى: " إِن تُعَذبهُمْ فَإِنَّهُم عِبَادك وَإِن تغْفر لَهُم فَإِنَّك أَنْت الْعَزِيز الْحَكِيم" فَإِن قَالَ قَائِل: كَيفَ طلب الْمَغْفِرَة لَهُم، وهم كفار؟ ، وَكَيف قَالَ: " وَإِن تغْفر لَهُم فَإِنَّك أَنْت الْعَزِيز الْحَكِيم" ، وَهَذَا لَا يَلِيق بسؤال الْمَغْفِرَة ؟ قيل: أما الأول فَمَعْنَى قَوْله: " وَإِن تغْفر لَهُم" ، يَعْنِي: بعد الْإِيمَان ، وقيل : هَذَا فِي فريقين مِنْهُم، فَقَوله: " إِن تُعَذبهُمْ فَإِنَّهُم عِبَادك" يَعْنِي: من كفر مِنْهُم " وَإِن تغْفر لَهُم" يَعْنِي: من آمن مِنْهُم. وَقَالَ أهل الْمعَانِي من أَرْبَاب النَّحْو: لَيْسَ هَذَا على وَجه طلب الْمَغْفِرَة، وَإِنَّمَا هَذَا على تَسْلِيم

الْأَمر إِلَيْهِ، وتفويضه إِلَى مُرَاده؛ أَلا تراهُ يَقُول: " فَإِنَّك أَنْت الْعَزِيز الْحَكِيم " وَلَو كَانَ على وَجه طلب الْمَغْفِرَة لقَالَ: " فَإِنَّك أَنْت الغفور الرَّحِيم ". وَأما السُّؤَال الثَّانِي: اعْلَم أَن فِي مصحف ابْن مَسْعُود: " وَإِن تغْفر لَهُم فَإِنَّك أَنْت الغفور الرَّحِيم ..... (وَقيل) : فِيهِ تَقْدِيم وَتَأْخِير، وَتَقْدِير الْآيَة: إِن تغْفر لَهُم فَإِنَّهُم عِبَادك، وَإِن تُعَذبهُمْ فَإِنَّك أَنْت الْعَزِيز الْحَكِيم. وَقيل: مَعْنَاهُ: إِن تغْفر لَهُم لَا ينقص من عزك شَيْء وَلَا يخرج من حكمتك ، وَيدخل فِي حِكْمَة الله تَعَالَى وسعة رَحمته أَن يغْفر للْكفَّار، وَلَكنه أخبر أَن لَا يغْفر، وَهُوَ لَا يخلف خَبره وَمن قَالَ: إِنَّه على تَسْلِيم الْأَمر لَا على وَجه طلب الْمَغْفِرَة، استقام النّظم على قَوْله.([٨٣])

وقَوْله تَعَالَى : " قَالَ الله هَذَا يَوْم ينفع الصَّادِقين صدقهم" ، فَإِن قَالَ قَائِل: كَيفَ ينفع الصَّادِقين صدقهم بالقيامة، وَلَيْسَت بدار النَّفْع ؟ قيل: مَعْنَاهُ: ينفع الصَّادِقين صدقهم فِي الدُّنْيَا لَا صدقهم فِي الْقِيَامَة، وَقيل: نفعهم بِالصّدق فِي الْقِيَامَة: أَنهم لَو كذبُوا؛ نطقت جوارحهم فافتضحوا، فَإِذا صدقُوا لم يفتضحوا ، " لَهُم جنَّات تجْرِي من تحتهَا الْأَنْهَار خَالِدين فِيهَا أبدا رَضِي الله عَنْهُم وَرَضوا عَنهُ ذَلِك الْفَوْز الْعَظِيم" . ([٨٤])

المبحث الخامس

حوار الله تعالى مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

لم يَرد في القرآن الكريم حوار مباشر يدور الكلام فيه بين الله تعالى وبين نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ، حيث ان الخطاب في القرآن الكريم كان يتضمن الأمر والنهي والخبر ، وما كان من نبينا صلى الله عليه وسلم إلا التسليم الكامل والإذعان التام لما يأمر به سبحانه، حتى في المسائل الشخصية كحادثة الإفك، لم يطلب النبي صلى عليه وسلم من الله تعالى بيان البراءة ، مع ما كان يلاقيه من الشدة والهم والطعن وإن من كرم الله تعالى عندما أراد أن يكلم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم مباشرة نقله إليه ، وهذا ما حدث ليلة الإسراء والمعراج حيث رفعه مكاناً لم يصل إليه نبي ولا رسول ولا ملَك مقرب ، وأدناه منه جل وعلا ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ ﴾ النجم: ٧ - ١٠وما ذلك إلا لعظيم شأنه صلى الله عليه وسلم وعلوّ رتبته بين الأنبياء والمرسلين ، كيف لا وهو سيد الخلق وحبيب رب العالمين .

الخاتمة

الحمد لله الذي بعمته تتم الصالحات من خلال هذه الدراسة والبحث ، واستقراء الآيات التي تضمنت حوار الله تعالى مع أولي العزم من الرسل وما دار من كلام يمكن القول ان هذا الحوار تضمن موضوعات عدة. فحوار الله تعالى مع نوح عليه السلام كان يتعلق بابنه ، ويطلب نوح عليه السلام من ربه ان يجعل هذا الابن من الناجين .وحوار الله تعالى مع إبراهيم عليه السلام كان يدور حول كيفية إحياء الموتى وحصول الاطمئنان ، وبيان قدرة الله تعالى على الإحياء بعد الإماتة .اما حوار الله تعالى مع موسى عليه السلام فكان متعدداً بحسب المواقف التي مر بها موسى عليه السلام ، ابتداءاً من اختياره للنبوة والرسالة ومروراً بانضمام أخيه هارون إليه ، ثم نقاشه مع الله تعالى فيما يتعلق بدعوته لفرعون .وحوار الله تعالى مع عيسى عليه السلام يدور حول المعجزة المادية التي طلبها قومه منه ، والمتمثلة بإنزال المائدة عليهم . ثم حواره بخصوص الإلهية . وختاماً حوار الله تعالى مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والذي تم برفع خاتم الأنبياء والمرسلين إلى السماء في ليلة الإسراء والمعراج ، وكلام الباري معه مباشرة ، وما ذاك إلا لعلو مكانته ورفعته بين الأنبياء والمرسلين ، صلى الله عليه وسلم في الأولين والآخرين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

هوامش البحث

[١] – ينظر: تهذيب اللغة ، الأزهري ، ج٥ ص١٤٧ باب الحاء والراء

(٢) – ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، الجوهري ، ج٢ ص٦٣٨-٦٤٠ ، باب الراء فصل الحاء ، وينظر : معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس ، ج٢ ص١١٥-١١٦ ، كتاب الحاء ، باب الحاء والواو .

(٣) – لسان العرب ، ابن منظور ، ج٤ ص٢١٨ باب الراء ، فصل الحاء المهملة

(٤) – القاموس المحيط ، الفيروزآبادى ، ص٣٨١ باب الراء ، فصل الحاء . وينظر : أساس البلاغة ، الزمخشري ، ج١ ص٢٢١ ،

(٥) – التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ج١ ، ص١٤٩ .

٦ – جامع البيان في تأويل القرآن ، ابن جرير الطبري ، ج٢٢ ،ص١٤٥، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ج٥ ، ص١١٧

٧ – ينظر : جامع البيان في تأويل القرآن ، الطبري ، ج١٥ ص ٣٤٠

٨ – ينظر: تفسير العز بن عبد السلام ، (تفسير القرآن وهو اختصار لتفسير الماوردي)، ج٢ ص٩١

٩ – ينظر: التبيان في اعراب القرآن ، ابو البقاء العكبري ، ج٢ ص٧٠١

١٠ – ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية الأندلسي ، ج٣ ، ص١٧٦-١٧٨

١١ – ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) الحسين بن مسعود البغوي ، ج٤ ، ص١٨٠-١٨١ .

١٢ – ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن ، النيسابوري ، ج١ ، ص١٢١

١٣ – ينظر : المستدرك ، الحاكم ، ج٢ ، ص ٢٦٦

١٤ – ينظر: تفسير الطبري ، ج٢، ص١٣ .

١٥ – ينظر: مفاتح الغيب (التفسير الكبير) ، الرازي ج ٤ ، ص ٣١ .

١٦ – ينظر : لطائف الإشارات (تفسير القشيري) عبد الكريم بن هوازن القشيري ، ج١ ، ص١٢١ .

١٧ – تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج١، ص ٤١٣ .

١٨ – تفسير ابن كثير ، ج١ ، ص ٤١٤ .

١٩ – ينظر : التسهيل لعلوم التنزيل ، ابو القاسم بن جزي الغرناطي ، ص ٩٧ .

٢٠ – ينظر : تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم) ابو السعود ، ج١ ، ص١٥٨-١٥٩

٢١ – ينظر : فتح البيان في مقاصد القرآن ، محمد صديق القنوجي (ت١٣٠٧هـ) ، ج١، ص ٢٨٠ .

٢٢ – البحر المديد في تفسير القرآن الجيد ، ا بن عجيبة ، ج١ ، ص ١٦٥

٢٣ – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ا بن حجر العسقلاني ، ج٦ ، ص ٤٠٠

٢٤ – فتح الباري ج٦ ، ص ٤٠٢

٢٥ – ينظر: محاسن التأويل ، القاسمي ، ج١ ، ص٣٩٨

٢٦ – ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، ج١ ،ص٦٦ .

(٢٧)إيجاز البيان عن معاني القرآن، النيسابوري ، ج١ ص١٦٨. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا ، ج٣ ، ص٤٧

(٢٨) الكشاف ، الزمخشري ، ج١ ، ٣٠٧-٣٠٩

(٢٩) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، الرازي ، ج ٧ ، ص٣٥-٣٦.

(٣٠) ينظر: المواقف، القاضي عضد الدين الإيجي، وشرحه للمحقق السيد الشريف الجرجاني ،ج٨ ، ص٩٤-٩٥.

(٣١) حاشية ابن المنيّر على تفسير الزمخشري: ج١، ص٣٠٨.

(٣٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، ج٢ ، ص ١٨٣

(٣٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني ، ج٦ ، ص٤١٢ .

(٣٤)شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني ، ج٢، ص ٢٦١-٢٦٢ .

(٣٥) شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي ، ج٢، ٤٦٧.

٣٦ – ينظر : تفسير ابن كثير ، ج٣ ، ص٤٦٨

[٣٧] – ينظر : العقيدة الإسلامية ومذاهبها ، الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري ، ص ٣٠٨

[٣٨] – الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، مع الحاشية المسماة مزيل الخفاء عن الفاظ الشفا ، احمد بن محمد الشمني ، ج ١، ص ١٩٥–١٩٦

[٣٩] – صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله تعالى : " ولقد رآه نزلة أخرى " ج ٣ ، ص ١٢

[٤٠] – الشفا ، القاضي عياض ، ج١ ، ص ١٩٨–١٩٩ ، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية ، ابن ابي العز الحنفي ، ج٢ ، ص ١١٦

[٤١] – الكشاف ، الزمخشري ، ج٢ ، ص ١٥٤–١٥٥ بتصرف

[٤٢] – عقائد الإمامية ، محمد رضا المظفر ، ص٢٣

[٤٣] – الفوائد البهية في شرح عقائد الإمامية ، الشيخ محمد جميل حمّود ، ج١ ، ص١٢٧

[٤٤] – ينظر : الإبانة عن اصول الديانة ، ابو الحسن الأشعري ص ٣٥ ، وينظر : تفسير الماتريدي (تؤيلات اهل السنة) ابو منصور الماتريدي ، ج١ ، ص ٢٩٤

[٤٥] – ينظر: المواقف ، الإيجي ، ج٨ ، ص ٩١–٩٢

[٤٦] – ينظر : حادي الأرواح الى بلاد الأفراح ، ابن قيم الجوزية ، ص ٢٣٦ ، وينظر : العقيدة الاسلامية ومذاهبها ، الدكتور قحطان عبد الرحمن الدوري ، ص ٣٠٤

[٤٧] – فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ا بن حجر العسقلاني ، ج١٣ ، ص٤٢٧ كتاب التوحيد باب قول اله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة " رقم الحديث (٧٤٣٧)

[٤٨] – ينظر : غاية المرام في علم الكلام ، الآمدي ، ج ١ ، ص ١٥٩ ، وينظر : اصول الدين ، الغزنوي ، ص ١٧

[٤٩] – ينظر: المواقف ، الإيجي ، ج٨ ، ص ١٠٩–١١١

[٥٠] – تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، القرطبي ، ج٧ ، ص٢٨٠

[٥١] – ينظر : تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ٤٧٤

[٥٢] – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ا بن عطية الأندلسي ، ج٤ ، ص٣٩

[٥٣] – ينظر: تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) أبو البركات النسفي ، ج٢ ص٣٥٩

[٥٤] – الكشاف ، الزمخشري ، ج٣ ص١٢٩

[٥٥] – ينظر: : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، ج١ ص٩٤

[٥٦] – ينظر : تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل ، أبو بكر الباقلاني ، ص٢٨٤

[٥٧] – ينظر: أصول الدين ، الغزنوي ، ص١٠١–١٠٢

[٥٨] – ينظر: المواقف ، الإيجي ، وشرحه للمحقق الجرجاني ، مع حاشيتين عليه: أحدهما/ لعبد الحكيم السيالكوتي، والثانية/ للمولى حسن جلبي ، ج٨ ص٧٤–٧٥

[٥٩] – ينظر: المواقف ، الإيجي ، ج٨ ص٧٤–٧٥

[٦٠] – ينظر : تفسير الطبري ، ج١٨ ، ص٢٩٢–٢٩٤

[٦١] – تفسير النسفي ج٢ ص٣٥٩–٣٦٣ بتصرف

[٦٢] – ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي ، ج٤، ص٢٧–٢٨ ، وينظر : تفسير ابن كثير ، ج٥ ، ص٢٨٣

[٦٣] – ينظر : معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) ، الحسين بن مسعود البغوي ، ج٣ ص٢٦١–٢٦٢

[٦٤] – ينظر : محاسن التأويل ، القاسمي ، ج٧ ، ص ١٢٦–١٢٨ بتصرف

[٦٥] – ينظر : التحرير والتنوير ، الطاهر بن عاشور ، ج١٦ ، ص ٢٧٩–٢٨٠

[٦٦] – الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، القرطبي ، ج١٣ ، ص٩١–٩٤ بتصرف

[٦٧] – ينظر : **فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، محمد صديق خان القنوجي ، ج١٠ ، ص ١٣**

[٦٨] – صحيح مسلم بشرح النووي ج٣ ، ص١٣ ، رقم الحديث (١٧٩) ، وسنن ابن ماجه ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها ج ١ ص٧٠ ، رقم الحديث (١٩٥)

[٦٩] – ينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، ا بن عجيبة ، ج٤ ص١٧٥-١٧٩

[٧٠] – ينظر: **تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)** ، ج٢ ، ص٥٩٣

[٧١] – الإيمان ، ابن تيمية ، ص ١٥١

[٧٢] – الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها العلامة الشِّنقيطي في تفسيره أضواء البيان جمع: أبو المنذر محمود المنياوي ٢، ٥٠١

[٧٣] – ينظر : زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، ج ٣، ص٣٨٣-٣٨٤

[٧٤]– ينظر : تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي ، ج١٨ ، ص ١٠٩١٢– ١٠٩١٤

[٧٥]– ينظر : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي ، ج٣، ص٤٣٥

[٧٦] – ينظر : تفسير المراغي ، ج٢٠ ، ص٥٥

[٧٧] – ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ،ص٥٠٣-٥٠٤

[٧٨] – ينظر : تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي ، ج١٨ ، ص ١٠٩١٢– ١٠٩٢٢ ، وينظر: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، أبو بكر الجزائري ، ج٤ ، ص٦٩– ٧٢ ، وينظر : موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور ، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين ، ج٤ ، ص٥٠– ٥٢

[٧٩] – في ظلال القرآن ، سيد قطب ،ج٢ ، ص٩٩٨

[٨٠] – تفسير المراغي ، أحمد بن مصطفى المراغي، ج٧ ص٥٩

[٨١] – تفسير القرآن العظيم ، ا بن كثير، ج٣ ص٢٣١

[٨٢] – ينظر : تفسير ابن كثير ، ج٣، ص٢٣٢

[٨٣] - ينظر : الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيرواني ثم الأندلسي ، ج٣ ص١٩٤٦– ١٩٥٤

[٨٤] – ينظر : تفسير السمعاني ، منصور بن محمد السمعاني ، ج٢ ص٨٢ –٨٤